الدكتور عزت السيد أحمد

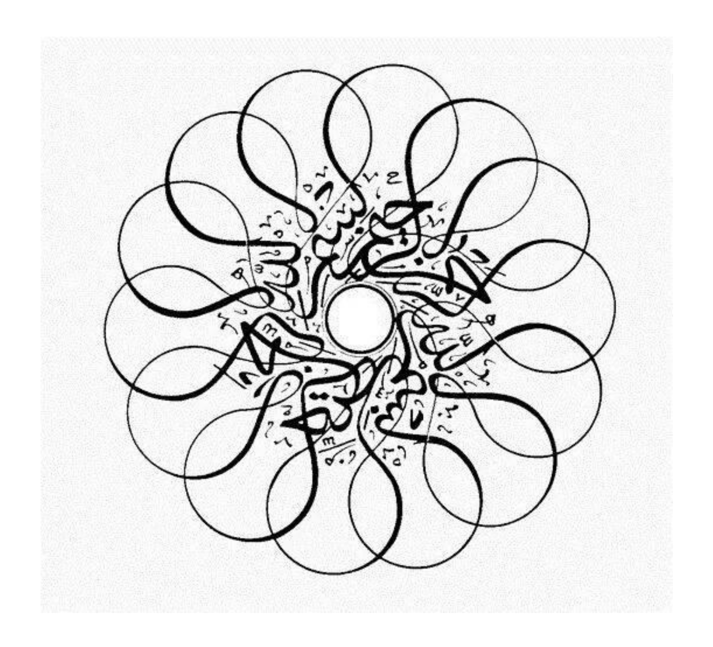
العالم على فوهة البركان

مقالات سياسية



الدكتور عزت السيد أحمد

العالم على فوهة البركان



الدكتور عزت السيد أحمد



مقالات سياسية



2014





بيروت

٢٠١٤م

دار أنهار للدرسات والترجمة والنشر

تطلب النسخة الورقية أو الإلكترونية من الناشر على البريد التالي
Sameah3@gmail.com

العالم على فوهة البركان

الدكتور عزت السيد أحمد

١٦٢ صفحة

الإهداء

إلى من بقي من العقلاء

في أمة العرب

الدكتور عزت السيد أحمد

العالم على فوهة البركان



مقدمة

كتبت منذ نحو ثلاث سنوات مقالاً قصيراً بعنوان «علينا البدء بتفتيت عقولنا لنتعايش مع القادم». ونشر هٰذا المقال في أكثر من موضع تحت هٰذا العنوان، وتحت عنوان هستيريا سرياليَّة. أفتتح بهٰذا مقدمة الكتاب.

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الماضي وهي أكثر من أن تعدَّ أو تحصى في مواقف اليسار العربيِّ المخزية والدَّاعية إلىٰ الاستغراب الشَّديد... ويمكن أن أناقش ذَلكَ لمن شاء ومتى شاء نقطة نقطة.

السِّرياليَّة نوعٌ من الهستريا، هي التَّعبير عن سيَّالة الفكر لدماغٍ خارجَ الضَّوابط.

كيف يفكِّر الدِّماغ إذا ما ارتفعت عنه الضَّوابط والقواعد؟

التَّعبير عن أفكاره وهو منفلتٌ من العقال هو ما يسمَّى بالسِّرياليَّة.

رُبَّما الثَّورة السُّوريَّة هي المعلم الأبرز. ولٰكن هناك مصر، بورما، أفريقيا الوسطى....

في ذَلكَ كلِّه مجتمعاً ورُبَّما متفرقاً ما يقول إِنَّهُ سرياليَّة، هستريا، لا يمكن تصديق ما يحدث. إنَّ المتابع لما يحدث لا يمكن أن يصدق أنَّ ما يحدث هو

سياقٌ منطقيٌّ، أو واقعيٌّ... إِنَّهُ هستريا بكلِّ تأكيد، إِنَّهُ سرياليَّة علىٰ أرض الواقع...

إنَّ ما يحدث اليوم هو هستريا سرياليَّة.

لا أظنُّ أنَّ البشريَّة مرَّت بمثل هٰذه المرحلة من قبل. ولٰكنَّهَا أغلب الظَّنِّ مفتاحٌ لكثيرٍ للعصر القادم: عصر الهستريا السِّرياليَّة.

العصر القادم سيكون ممتلئاً بالحالات المشابهة وربَّما الأكثر هستيريَّة وسرياليَّةً. ولذٰلك علىٰ البشريَّة أن تبدأ من الآن بالتَّدرب علىٰ تفتيت العقل رويداً رويداً من أجل القدرة علىٰ التَّعايش مع العبثيَّة القادمة.

ليس هٰذا تشاؤماً. إما أن تطلِّقوا عقولكم كي تستطيعوا التعايش مع الواقع السريالي الهستيري أو أن يهرب منكم عقلكم وتصبحون عالةً علىٰ السرياليين الهستيريين.

أرجو أن أكون مخطئاً.

كتبت هٰذا الكلام قبل أنَّ أكتب كلمة في هٰذا الكتاب أو حَتَّىٰ أن أفكر في جمع مادته تحت هٰذا العنوان. ولٰكنِّي في حقيقة الأمر منذ سنوات وأنا أهجس في وضع كتاب يحمل هٰذا العنوان لاستشعاري منذ سنوات أنَّ العالم يتقدم ليجثو علىٰ فوهة البركان. منذ نحو خمس عشرة سنة وعنوان الكتاب يرقص في ذهني، ولٰكنِّي ظللت أدفعه إلىٰ الأمام لأني مع استلماحي واستشعاري بهٰذا اليوم لم تتبلور في ذهني الفكرة المناسبة لبناء الكتاب عليها. علىٰ الرَّغْمِ من أنِّي كتبت الكثير من الكتب التي تدور في هٰذا الفلك بمنعى من المعاني. لم أقترب فيها من هٰذا العنوان والمضمون مباشرة، وإنما تناولت السلكوات والممارسات السِّياسيَّة

الغربيَّة وخاصَّةً الأمريكيَّة والشَّرقيَّة وخاصَّةً العربيَّة التي تشحن العقول والنفوس والمواقف وتدفعها دفعاً لتكون الوقود المناسب لتفجير البركان.

كتبت عن السِّياسة الغربيَّة وخاصَّة الأمريكيَّة التي تدفع المنطقة والعالم للوصول إلىٰ حافة الهاوية، للغليان، للوصول إلىٰ فوهة البركان والانفجار. كتبت في ذَلكَ علىٰ سبيل المثال علىٰ مدار نحو ثلاثين سنة: كيف ستواجه أمريكا العالم[١]، أعاجيب السياسة الأمريكية[٢]، الأمم المتحدة بَيْنَ الاستقلال والاستقالة والترميم[٣]، انهيار أسطورة السلام[٤]، انهيار مزاعم العولمة[٥]، بشرية عمياء عرجاء[٦]، تفجيرات أيلول وصراع الحضارات[٧]،عالم مجنون[٨]، العالم

---

(١) . عزت السيد أحمد: **كيف ستواجه أمريكا العالم؛ الهيمنة الأمريكية والنظام العالمي الجديد**. مكتبة دار الفتح. دمشق. ١٩٩٣م.

(٢) . عزت السيد أحمد: **أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية**. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٨م.

(٣) . عزت السيد أحمد: **الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم**. مكتبة دار الفتح. دمشق. ١٩٩٣م.

(٤) . عزت السيد أحمد: **انهيار أُسطورة السَّلام؛ مصير السَّلام العربي الإسرائيلي**. الطبعة الأولى: مكتبة دار الفتح. دمشق. ١٩٩٦م. الطبعة الثانية: دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٣م.

(٥) . عزت السيد أحمد: **انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها**. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠٠م.

(٦) . عزت السيد أحمد: **بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية**. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٩م.

(٧) . عزت السيد أحمد: **تفجيرات أيلول وصراع الحضارات؛ الولايات المتحدة صنعت الحدث لتصنع المستقبل**. دار إنانا. دمشق. ٢٠٠٣م.

(٨) . عزت السيد أحمد: **عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية**. دار الفكر الفلسفي. دمشق. ٢٠٠٨م.

في مواجهة الإسلام[٩]، الحرب علىٰ الدولة الإسلامية[١٠]، خطر نجاح الإسلام في السلطة[١١].

وفي سلوكات الأنظمة العربية والإسلامية كانت أيضاً الكثير من الكتب في ذَلكَ، وأذكر قبل ذكرها أني في لقاء تلفزيوني على قناة المنار اللبنانية، في لقاء خاص عن الانتفاضة الفلسطينية عام ٢٠٠١م قلت: أمام الأنظمة العربية فرصة تاريخيَّة لمصالحة الشعوب، هٰذه الفرصة متاحة اليوم ولن تكون متاحةً غداً[١٢]... ستنفجر الشُّعوب بهم. ومن الكتب التي كتبتها في هٰذا السِّياق: انهيار النظام العربي[١٣]، رئيس وأربعة فراعين[١٤]، العرب أعداء أنفسهم[١٥]، العرب جثة تنهشها الكلاب[١٦]، قضايا الفكر العربي المعاصر[١٧].

وكانت الثَّورة السُّورية في حقيقة الأمر هي البارود الذي أشعل المنطقة ورُبَّما يكون هو البركان الحقيقي، وكتبت في ذَلكَ أكثر منها ما صدر ومنها ما

---

(٩) ـ عزت السيد أحمد: **العالم في مواجهة الإسلام** ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.

(١٠) ـ عزت السيد أحمد: **الحرب على الدولة الإسلامية** ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.

(١١) ـ عزت السيد أحمد: **خطر نجاح الإسلام في السلطة** ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.

(١٢) ـ اللقاء منشور علىٰ اليوتيوب أكثر من نشرة.

(١٣) ـ عزت السيد أحمد: **انهيار النظام العربي** ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.

(١٤) ـ عزت السيد أحمد: **رئيس أربعة فراعين** ـ دار أنهار ـ بيروت ـ ٢٠١٤م.

(١٥) ـ عزت السيد أحمد: **العرب أعداء أنفسهم** ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٤م.

(١٦) ـ عزت السيد أحمد: **العرب جثة تنهشها الكلاب** ـ دار الفكر الفلسفي ـ دمشق ـ ٢٠٠٩م.

(١٧) ـ عزت السيد أحمد: **قضايا الفكر العربي المعاصر** ـ جامعة تشرين ـ اللاذقية ـ ٢٠٠٧م.

سيصدر، أما ما صدر منها: الثوار والمعارضة والثورة السورية[١٨]، الثورة السورية والمؤامرة الكونية[١٩]، الثورة السورية والنظام السوري[٢٠]، لوحات من ألم الثورة[٢١].

هٰذه الكتب كلها في حقيقة الأمر تصب في معين واحدٍ تقريباً هو قراءة ما آلت إليه الأمور من تصعيد سيؤدي إلىٰ البركان. قراءة خطوة بخطوة، غطت مختلف المفاصل المحورية علىٰ مدار نحو ثلث قرن بدأت مع بواد انهيار الاتحاد السُّوڤيتي والمساعي الأمريكيَّة للتَّفرد في قيادة العالم وما سينجم عنه ويترتب عليه.

البركان إذن لم يظهر فجأة، ولم ينفتح علىٰ المنطقة والعالم فجأة، إنَّهُ سيرورة مقدمات طويلة كلها تتابعات منطقية ليس فيها مفاجآت ولا مباغتات علىٰ الإطلاق... ومن لم يدركها فهٰذه مشكلته، ومن لم يقتنع بها فهٰذه مشكلته. منذ نحو ثلاثين سنة وفي كتابي الأول كيف ستواجه أمريكا العالم رسمت ملامح المرحلة القادمة لما ستقوم به أمريكا وما سترتب علىٰ سياستها، وبالكاد نشز توقع من التوقعات، حَتَّىٰ أوصلت أمريكا العالم إلىٰ الانهيار، إلىٰ الانفجار. لا يمكن إعفاء قادة العرب والأنظمة العربية التي هي أصلاً أشخاص قادتها فقط، من هٰذه المسؤولية فيما يخص عالمنا العربي والإسلامي. فلهم الباع الأطول في الانهيار، وحَتَّىٰ الآن لم تتغير عقليتهم ولا سلوكهم ولا تدبيرهم ولا تخطيطهم،

(١٨) . عزت السيد أحمد: **الثوار والمعارضة والثورة السورية**. دار أنهار. بيروت. ٢٠١٤م.

(١٩) . عزت السيد أحمد: **الثورة السورية والمؤامرة الكونية**. دار أنهار. بيروت. ٢٠١٤م.

(٢٠) . عزت السيد أحمد: **الثورة السورية والنظام السوري**. دار أنهار. بيروت. ٢٠١٤م.

(٢١) . عزت السيد أحمد: **لوحات من ألم الثورة**. دار أنهار. بيروت. ٢٠١٤م.

ولذّلك هم يساهمون إسهاماً بالغاً في تعقدي الأمور وقيادتها إلىٰ الانفجار والانهيار، والبوادر كلها تشير إلىٰ الانفجار القادم.

إذن مفردات الكتاب استمرار لسلسلة كتب ومقالات يمكن أن يقرأ مستقلاً عنها، ولّكنَّهُ لا يكون كاملاً إلا من خلال تتبع عشرات السنين الماضية في الكتب التي أشرت إليها. يكفي أن تقرأ الكتاب لتقف علىٰ حقيقة وقوف العالم علىٰ فوهة البركان، ولٰكنَّ دائرة الحدث وأبعاده يصعب أن تستكمل من الممهدات علىٰ مدار نحو ثلث القرن المنصرمة. وليس ما قبل ذّلكَ بعيداً أيضاً، ولكنَّ الشَّحن الحقيقي والأبرز برز مع انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م.

وعلىٰ أيِّ حالٍ، فإنَّ هٰذه الكتاب مقدمة فيما أظن لتأزمات وتعقيدات أكبر وأشد ستأتي عليها المنطقة والعالم.

السُّؤال الذي سيبرز بقوَّة:

إذا كانت الثَّورة السُّوريَّة هي فتيل الانفجار، البارود الذي انفجر وفجر المنطقة، فهل كانت ستصل المنطقة إلىٰ ما وصلت إليه لو أنَّ الثورة السوريَّة انتصرت سريعاً كما حدث في دول الربيع العربي الأُخْرَىٰ؟

لم نؤت علم الغيب، ولٰكنَّ الحقيقة الأكيدة أنَّ الثَّورة السُّوريَّة بما حدث فيها من تعقيدات وتدخلات وتداخلات أوصل الأمور إلىٰ ما وصلت، ولو أنَّ الثَّورة السُّوريَّة انتصرت سريعاً لما تغير شيء في الموضوع لأن انتصار الثَّورة السُّوريَّة السَّريع كان سيكون مفتاحاً لربيع عربي آخر في دول المنطقة وستظلُّ الأمور في حالة اشتعال حَتَّىٰ تتغير الخريطة كلها. الفرق الوحيد رُبَّما هو أننا قد لا نقول إنَّ الثَّورة السُّوريَّة هي الفتيل الذي فجر البركان، كان يمكن أن نقول غير ذّلكَ، أو

يكون الفتيل دولة أُخْرَىٰ، أو غير ذَٰلكَ... ورُبَّما كنا سنقول إنَّ الثَّورة السُّوريَّة هي الفتيل ولٰكنَّ بطريقة أُخْرَىٰ.

الفكرة الأساسيَّة هنا هي أنَّ الانفجار قادمٌ قائمٌ لا محالة سواء انتصرت الثَّورة السُّوريَّة سريعاً أو حدث ما حدث. حمم البركان تغلي وتبحث عن مخرج منذ سنوات؛ بالثَّورة السُّوريَّة بغيرها لا خلاف، ستخرج وتنفجر. ومن غباء الأنظمة العربيَّة أنَّها تصر علىٰ إخماد نار البركان، وتحسب أنَّها قادرة علىٰ إخماده... قد تخمده قليلاً كما فعلت بتأديب شعوبها بالثَّورة السُّوريَّة والشَّعب السُّوري، ولٰكنَّهُ إخمادٌ مؤقَّتٌ، وحَتَّىٰ هٰذا الإخماد الموقت يتفجَّر شظايا تتطاير بتسارعٍ لم يبلغ مداه، ولٰكنَّهُ سيتسارع قريباً علىٰ نحوٍ غير قابلٍ للتَّوقُّع... ولٰكنَّهُ سيتفجر.

مقالات هٰذا الكتاب كلها كتبت من وحي الثَّورة السُّوريَّة وسلوكات الدول الإقليميَّة والغربيَّة ومواقفها من الثَّورة السُّوريَّة. ولا غرابة كما أبنَّا في ذَٰلكَ إذ إنَّ الثَّورة السُّوريَّة هي التي أخرجت المارد من القمقم، هي التي أخرجت الأفاعي من جحورها، هي التي أظهرت الجميع علىٰ حقائقهم... وفوق ذَٰلكَ فإنَّ هٰذه المواقف والسُّلوكات كانت علىٰ رغم أنف الجميع الوقود الذي يؤجج حمم البركان ويدفعها إلىٰ الانفجار.

تراكمت هٰذه المواقف والسلوكات تدريجيًّا وتدامجت مع التاريخ السابق علىٰ مدار عشرات السِّنين الماضية وتفاعلت مع بعضها حَتَّىٰ لم يعد من السهل فصل تاريخ أي دولة في إطار هٰذا الشَّحن عن هٰذا الحاضر... وترافدت حَتَّىٰ كوَّنت سيلاً واحداً من الحمم يصب في معين البركان.

كان يمكن تدارك البركان نسبيًّا بتأجيل انفجاره إلىٰ أجل غير معلوم لولا المواقف المخزية والخاطئة كلها التي مورست ضد الثَّورة السُّوريَّة... وكان يمكن أن يكون الانفجار أقل خطراً لو انتصرت الثَّورة بهدوء مثل بقية الثَّورات العربيَّة... ولٰكنَّ كما أشرت البركان قادم لا محالة، هناك تراكم عشرات السنين من الشحن والأخطاء لا بُدَّ لها من التَّصفية والتَّسوية، إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غدٍ... مهما طال الزمان لا بُدَّ لهذه الأخطاءِ أن تسوى وتُصفَّى.

ما حدث أنَّ الثَّورة السُّوريَّة كانت طعم التاريخ الذي ابتلعه الجميع من أجل تصعيد التأجج وتسريع الانفجار.

ما زلنا حَتَّىٰ الآن في المراحل الأولى.

ماذا سيكون؟

لم يعد بإمكاننا سوى الترقب والمراقبة فإني أحسب أنَّ الأمور انفلتت من عقالها.

عزت السيد أحمد

٢٠١٤م



الفصل الأول

في الازدواجية الغربية

ازدواجية المجتمع الدولي في التعامل مع العالم العربي والعالم الإسلامي وقضاياهما مسألةٌ علىٰ درجة من الوضوح تفقأ عين الجاحد والمنكر. وقد كتبت وكتب فيها الكثيرون الكثير من المقالات وربَّما الكتب التي تسدُّ عين الشمس بكثرتها(٢٢). ولذلك لا أريد الإطالة فيها وإنما أكتفي بالوقوف علىٰ محطات صغيرة تصب في سياق الكتاب.

إنَّ محض طرح سؤال: هل هناك ازدواجيَّة في السِّياسة الغربيَّة سيثيرُ غضب الكثيرين، وربَّما الهيجان الانفعالي الشَّديد عند عددٍ غير قليلٍ من أبناء العالم العربيِّ خاصَّةً والإسلاميِّ عامَّة.

السُّلوك هو ذاته سواء أطلقنا عليه اسم ازدواجية أم أيَّ اسمٍ آخر. والنَّتيجة واحدة مهما كانت التَّسمية. المشكلة ليست في التَّسمية المشكلة في السُّلوك.

هو في حقيقته تحقيق مصالح مهما كانت وجهة نظر الآخرين فيه. لا يفكر الغرب فيما إذا كان ازدواجيَّةً أم، إنَّهُ يفكر فيما إذا كان يحقق مصالحة أم لا، ما يحقق مصالح القوي هو الصواب وليفلق الضعفاء أنفسهم. إنَّهَا المصالح وحكم القوي، ولو فَقَأَتْ عين العقل والمنطق. الذَّنب ذنبنا نحن لا ذنبهم.

(٢٢) . مادة هٰذا الفصل مجتزءات من فصل من كتابي: **العالم في مواجهة الإسلام** الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب. وثمَّة فصول أُخْرَىٰ فيه تدور في هٰذا السياق.

ازدواجية الغرب والمجتمع الدولي التي تفقأ أعين العقل والمنطق والأخلاق لا حدود لها. إنها ازدواجية ليس لأنَّهَا لا تتوافق مع مصالحنا وإنما هي تناقضات السياسة الغربية ذاته التي تشحن النفوس ضدهم وتحول أصدقاءهم إلىٰ أعداء. وتخلق التوتر في المنطقة والعالم وخاصة العالم العربي والإسلامي.

لا نعدد تاريخ هٰذه الازدواجية فإنَّ الصفحات لن تتسع بكل تأكيد. ولٰكنَّ هي وقفات عابرة حالية، في ظل ما تشهده المنطقة والعالم نجد علىٰ سبيل المثال:

الأمم المتحدة تلوِّح بتطبيق الفصل السَّابع في جنوب السُّودان لحماية المواطنين.

كم هي مفعمةٌ بالإنسانيَّة هٰذه الأمم المتحدة؟!؟!

ولٰكنْ ماذا يدور في جنوب السودان مقارنة مع سوريا والعراق اليمن وإيران ومصر وإفريقيا الوسطى ومينمار...؟

منذ أيام أعلن الجيش الأمريكي عن استعداده لمساندة الجيش العراقي في مواجهة المتطرفين من دولة العراق والشَّام في الأنبار وغيرها، ومنع انتشارهم... أما جرائم الجيش الطائفي العراقي والميليشيات الطائفية الشيعية في العراق فلا أحد يراها!!!

قبل ذَلكَ بأيَّامٍ قليلةٍ ما إن اندلعت المواجهات في جنوب السُّودان حَتَّىٰ أرسلت فرنسا قواتها للتَّدخُّل ووقف العنف ريثما يتَّخذ مجلس الأمن القرار المناسب. ولم ير أحد ما يحدث في في أماكن أُخرَىٰ من العالم الإسلامي وضد المسلمين...

قبل أشهر قليلة حشدت فرنسا جيشها وذهبت إلىٰ مالي لاسترداد المناطق التي حرَّرها الثُّوار الإسلاميون في مالي وإعادتها إلىٰ سلطة الدَّولة...

أليس في ذَلكَ ما يسوغ للسُّوريين والعراقيين وسائر المسلمين ومن يفهم مأساتهم أن يحقدوا علىٰ البشرية أقصى حدود الحقد؟؟؟؟

أليس في ذَلكَ ما يفرض التَّطرف عليهم إلىٰ الحدِّ الذي يجعل التَّفاهم معهم مستحيلاً؟؟؟

ذَلكَ بعض من سياق وتاريخ غير قصير من هٰذه الازدواجية التي جعلت:

الإرهاب ضدَّ المسلمين هو سلوكٌ حضاريٌّ

مساعدة المسلمين بأيِّ شيءٍ هو سلوك إرهابيٌّ

لا حظوا مثلاً: أكثر من سبعمئة شاب فرنسيٍّ أعمارهم ما بين ١٦و١٨ سنة يلتحقون للقتال مع الجيش الصِّهيوني وارتكاب مجازر في غزة.

لا أحد في العالم انشغل باله بهم!!!

ولا أحد في العالم سأل عنهم أو سألهم لماذا!!

ولا أحد في العالم خاف عليهم، ولا خاف من إرهابهم بحقِّ الفلسطينيين.

ولا أحد في العالم خاف من عودتهم إلىٰ بلادهم بعد انتهاء الحرب!!!

بينما بعض عشرا من الفرنسيين جاؤوا إلىٰ سوريا دعماً للثَّورة فضاج العالم كلُّه، ضاجت أروقة السِّياسة والإعلام ومراكز الأبحاث وانعقدت الندوات والمؤتمرات وحلقات الأبحاث... لبحث هٰذه الظَّاهرة وتداعياتها ومخاطرها ومراشحها ومشاحرها، وكيف سيعودون إلىٰ بلادهم، وماذا سيفعلون عندما يعودون، ماذا لن يفعلوا عندما يعودون، أو لا يعودون...

وماذا يمكن أن نقول عن تأييد غالبية الأمريكيين للمجزرة الإسرائيليَّة في غزة؟

هل يمكن أن نسمِّي ذَلكَ رحمة أم إنسانيَّة مثلاً؟

لماذا لا يقولون: إنَّ هٰذا تطرف؟

لماذا لا يدرسون هٰذه الظَّاهرة علىٰ أنَّها شاذَّةٌ أو خاطئةٌ؟

ما زالوا يحاسبون العرب والمسلمين كلهم لغلطة واحدٍ أو عددٍ قليلٍ من الأشخاص، وربَّما يكون عالم المخابرات الغربيَّة هو الذي سخرهم واستخدمهم؟؟

لن نخوض غمار تفاصيل لا تكفيها دفاتر ولا كتب، وكتبنا عن أمثالها غير مرَّةٍ وكتب الكثيرون في ذَلكَ. ولٰكن نحن الآن في قلب وجع نقرأ بعض مظاهرة. تلك المظاهر التي تؤكِّد ما يسمَّى الازدواجيَّة العمياء الرَّعناء. كلُّ ما يقود إلىٰ قتل المسلم أو يقتله فعلاً فهو بطولةٌ وإنجازٌ حضاريٌّ. وكل ما يفعله المسلم حَتَّىٰ ولو كان حضارياً فهو إرهاب. الإسلام هو الإرهاب والمسلم هو الإرهابيُّ. في حين أن الحقيقة عكس ذَلكَ:

صلاح الدين بيافوجن ألماني اعتنق الإسلام، رأى ظاهرة شيطنة الإسلام والمسلمين، وقد سأله أحد ما في سجالٍ عن العلاقة بَيْنَ الإرهاب والإسلام فقال:

. من الذي أشعل الحرب العالميَّة الأولىٰ؟ المسلمون؟!

. من الذي أشعل الحرب العالميَّة الثَّانية ؟ المسلمون ؟!

. من الذي قام بقتل ٢٠ مليون نفسٍ بشريَّة من سكَّان أستراليا الأصليين؟! المسلمون؟!

. من الذي أرسل القنابل النَّووية لتضرب هيروشيما وناجازاكي؟ المسلمون؟!

. من الذي قام بقتل ما يزيد علىٰ الـ ١٠٠ مليون هنديٍّ من الهنود الحمر في أمريكا الشَّمالية؟ المسلمون؟!

. من الذي قام بقتل أكثر من ٥٠ مليون هنديٍّ من الهنود الحمر في أمريكا الجنوبيَّة؟ المسلمون؟!

. من الذي قام باسترقاق حوالي ١٨٠ مليون أفريقيٍّ كعبيد و قد توفي حوالي ٨٨٪ منهم وتَمَّ إلقاؤهم في المحيط الأطلنطي؟ المسلمون؟!

وتابع قائلاً:

لا... لم يكونوا المسلمين!!!!

ثمَّ أردف قائلاً:

قبل كلِّ ذَلكَ عليك أن تقوم بتحديد معنى الإرهاب جيِّداً؛ فلو أنَّ غير المسلم قام بفعل شيء خاطئ فإنَّها حينئذ تكون مجرَّد جريمةٍ، أمَّا حين يقوم مسلمٌ بارتكاب الخطأ نفسه فإنَّهُ حينئذ يوصف بالإرهاب!!! عليك أوَّلاً ألا تكيل بمكيالين وستعرف من هم الإرهابيون الحقيقيون!!

إضافة إلىٰ سلة الإزدواجيَّة كلُّ النَّاس المتحضِّرين يصرخون بقوَّةٍ اليوم:

تهجير الأقليات المسيحية جريمة كبرىٰ...

تهجير الأقليات الأيزيدية جريمة كبرىٰ...

يجب حماية الأقليات الأيزيدية...

يجب حماية الأقليَّة المسيحيَّة في سوريا...

يجب حماية الأقليَّة المسيحيَّة في العراق...

يجب تقديم ضمانات للأقليَّة العلويَّة في سوريا...

لا يجوز السُّكوت علىٰ ما يحدث للأقليَّة الكرديَّة في العراق...

يجب دعم الأقليَّة الكرديَّة في سوريا لتحمي نفسها...

هٰذا كلُّه هو الكلام الحضاري الرَّاقي المفعم بالإنسانيَّة. أمَّا قيام الأقليَّة أيُّ أقليَّةٍ بإبادة أكثريَّة مسلمة، بذبح مئات ألوف المسلمين، وتشريد ملايين المسلمين، وتدمير منازل ملايين المسلمين، وتدمير آلاف مساجد المسلمين... فهذا سلوكٌ حضاريٌّ لا يجوز الاعتراض عليه... ومن يعترض عليه فهو متخلِّف ورجعيٌّ وانتهازيٌّ يجب أن يحجر عليه...

ولٰكن، ومع ذٰلكَ، هناك تناقض فاضحٌ في الاستنفار لحماية الأقليات... وسؤالٌ يظهر فوق كلِّ الرُّؤوس بقوَّة:

هل هناك أقليَّات محدَّدة هي التي يجب حمايتها أم يجب حماية أيِّ أقليَّة؟

فلقد تعرَّضت أقليَّة مسلمي الروهينچيا لمجازر لا يمكن أن تصدَّق من شدَّةِ وحشيتها ولم يتحرَّك هٰذا الضَّمير الأقلياتوي علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها تفوق وحشية كل ما مارسه النظام السوري وكل ما مارسه مسلم (سنيٌّ) فرد أو مجموعة أو جماعة أو تنظيم!!!

لقد تعرَّضت أقليَّة مسلمي أفريقيا الوسطى لمجازر وحشيَّة مماثلةٍ لمذابح الروهينجيا وأيضاً لم يتحرَّك الضَّمير الأقلياتويُّ أيضاً علىٰ الرَّغْمِ من أنَّها تفوق وحشية كل ما مارسه النظام السوري وكل ما مارسه مسلم (سنيٌّ) فرد أو مجموعة أو جماعة أو تنظيم!!!؟

ومثل ذٰلكَ حَدَثَ في العراق للمسلمين علىٰ يد النِّظام الشِّيعي أو الشِّيعة قولوا ما شئتم، وقد قال أوباما: «السُّنَّة أقلية في العراق»... ومع ذٰلكَ لم يتحرَّك ضمير أوباما الأقلياتويُّ ولا ضمير غيره لنجدتهم أو حمايتهم!!!

كما أنَّ من الغباء محاولة برهان المبرهن، أو محاولة إثبات المثبت فإنَّ من أشدِّ الحماقات محاولة توضيح الواضحات. هٰذا ما يقرِّره الإعلام الغربيُّ، وتقودوه السِّياسة الغربيَّة. نحن لا نفتري علىٰ أحدٍ ولن نفتري. هٰذه حقائق تعزُّ علىٰ الطَّعن. وحَتَّىٰ نخلص من الخبص واللبص يجب أن ننتبه دائماً إلىٰ أنَّ أيَّ حديثٍ لنا عن الدول أو حَتَّىٰ الأمم: الغرب، أمريكا، أوروبا وأي دولة أُخْرَىٰ... فإنَّ المقصود هو أنظمة هٰذه الأمم والدول وليس الشُّعوب... مهما كانت طبيعة هٰذه الشُّعوب وأخلاقها وتصوراتها...

هل بعد ذَٰلكَ وضوح؟

دائماً نصدم بل ونصعق بمزيد من الوضوح.

منذ وعيت علىٰ الدنيا وإلىٰ اليوم لم أجد أحداً أو فريقاً يوصف بالظلاميَّة إلا المسلم الذي يدافع عن الإسلام. وعندما أقول الإسلام فأنا أعني السُّنة، السُّنة ليست طائفةً، السُّنة ليست مذهباً، السُّنَّة هي الإسلام، هي الأمَّة الإسلاميَّة.

حَتَّىٰ غير المسلم مهما كان دينه أو لا دينه إن دافع عن الإسلام فهو موضوعيٌّ وعقلانيٌّ وعلميٌّ وراقٍ وحبَّاب ومحترمٌ. فقط المسلم الذي يدافع عن الإسلام هو الظلاميُّ.

ومن طريف التَّناقضات هنا أنَّ المسلم وغير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إذا هاجم الإسلام بأيِّ طريقةٍ من الطُّرق فهو يمارس حريته، وهو شجاعٌ، وهو موضوعيٌّ، وهو نبراس الوعي والنضج... هو كذَٰلكَ مهما كانت طريقة الهجوم؛ مؤدَّبة، غير مؤدبة، فيها إساءة، فيها تشويه، فيها تحريف، فيها تخريف... لا

يهم، المهم أنت تحوز أوسمة الشَّجاعة والبطولة والنبل وتعتلي المحافل الدولية ويُفرش لك السجاد الأحمر عندما تهاجم الإسلام.

المفارقة المضحكة المبكية هنا هي أنَّ غير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إن دافع عن الإسلام فهو بطل ونبيل وعلمي وعقلاني... وإذا هاجم الإسلام فهو أيضاً بطل ونبيل وعلميٌّ وعقلانيٌّ... أمَّا المسلم فهو بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... فقط إذا هاجم الإسلام أمَّا إذا دافع المسلم عن الإسلام فهو ظلامي. بل ويا للغرابة والدهشة عندما تجد العالم يشيد براجحة عقل أحدهم وأهميته وعظمته وفجأة من دون مقدمات يصير مجنوناً، مخرِّفا، فقد عقله... فقط إذا تحول إلىٰ الدفاع عن الإسلام بعد أن كان يهاجمه.

في المقابل، المسيحية قبل الإسلام، وعدد المسيحيين أكثر من عدد المسلمين، وهناك مسيحيون يدافعون عن المسيحيَّة بشدَّة، وبتعصُّبٍ، وبتطرُّف، ومع ذَلكَ لم أجد عَبْرَ عشرات السِّنين من يصف هؤلاء بالظلاميين!!!

اليهودية قبل المسيحيَّة وقبل الإسلام، وبالقياس اليهودية أقليَّة في ميزان الأكثريات الدِّينية والعرقيَّة. وفيها متطرفون يفوقون تطرف المسلمين والمسيحيين، ومع ذَلكَ لم أجد أبداً عَبْرَ ما مضى من عشرات السِّنين من يصفهم بالظلاميين!!!

الهندوسيَّة، والبوذيَّة المنبثقة عنها اللتان تسبقان هٰذه الأديان الثَّلاث بمئات السِّنين، وعدد معتنقيها يساوي كلاًّ من الدِّيانتين علىٰ حدةٍ، وهي بمنزلة الديانة الوثنيَّة مقارنة مع الأديان السماويَّة، فيها من المتطرفين أيضاً ما لا يقلُّ عن تطرف المسلمين واليهود والمسيحيين. ومع ذَلكَ لا توجد أيُّ إشارةٍ أو كلامٍ أو تصريحٍ أو تلميحٍ إلىٰ ظلاميَّةٍ هندوسيَّةٍ أو بوذيَّةٍ!!!

حسناً، حَتَّىٰ في العقائد الإلحاديَّة بمختلف أنواعها يوجد متطرفون يفوقون بتطرُّفهم تطرُّف مترفي الأديان السَّماوية والوضعية والوثنية... والعقائد الوثنيَّة فيها كَذٰلكَ متطرفون... ومع ذَٰلكَ لم نجد أبداً من تحدَّث في يومٍ من الأيَّام عن الظلاميَّة الشِّيوعيَّة أو غيرها!!

لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

إذا كان الموضوع موضوع تطرُّف فقد وجدنا أنَّ الجميع علىٰ الأقل متطرفون مثل المتطرفين المسلمين، فلماذا المسلمون وحدهم ظلاميون، والآخرون يمارسون حريتهم، وليسوا ظلاميين؟

سيقول قائل: رُبَّما لأنَّ المسلمين ينادون أو يريدون العودة إلىٰ زمن الرسول أو يريدون تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة!!! عجباً، وهل المتطرفون في الأديان الأُخْرَىٰ ينادون بخلاف ذَٰلكَ؟ الأولى إذن أن منتسبي الأديان الأُخْرَىٰ هم من يجب أن يوصفوا بالظلاميين لأنَّ الإسلام أحدث هٰذه الأديان، أولئك يغرقون أكثر في الماضي! هٰذا مع تذكُّر أن الاتهام يوجه لكلِّ مسلمٍ ملتزم، وليس فقط للمتطرف المسلم، فيما نحن نتحدث عن متطرفي الأديان الأُخْرَىٰ لا عن الملتزمين دينيًّا فيها.

إذن لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

أرجو أن لا نخلط بَيْنَ الظلاميَّة والإرهاب. الظَّلاميَّة تهمةٌ تنصب علىٰ العقليَّة. ونحاول أن نعرف لماذا عقليَّة المسلم إذا التزم بدينه كانت ظلاميَّةً، بَيْنَما عقليَّة أيِّ ملتزمٍ بدينه من الأديان الأُخْرَىٰ لا تكون ظلاميَّة!! لماذا فقط المسلم إذا دافع عن دينه يكون ظلاميًا، ولا يكون غير المسلم ظلاميًّا إذا دافع عن دينه؟!

مثل الإرهاب كلمة بلا معنى محدد، وتهمة محددة الهدف، كذٰلكَ الظلامية، لا نعرف ما المقصود منها، لأنَّنا علىٰ ضوء كلِّ ما تحمله من معاني نجد أنَّ الظلامية تنطبق علىٰ كل ما هو غير إسلاميٍّ أكثر مما تنطبق علىٰ الإسلامي فلماذا يسير الجميع عكس المنطق؟

ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أنَّ الاتهام مقرونٌ بالإسلامي تحديداً وليس بالاجتماعيِّ، أي ليس بعقليَّة الشَّخص الاجتماعيَّة. فلا يتهم السُّلوك بالظلاميَّة إذا لم يكن مقترناً بالدِّفاع عن الإسلام أو المناداة به.

الظلاميَّة تكريس الجهل وتكريس التَّخلف ومحاربة العلم... هل يمكن أن تتضمن غير ذٰلكَ؟ حسناً، قارنوا بَيْنَ الإسلام وكلِّ الأديان. أيها أكثر احتراماً للعلم ودعوة للعلم وحضاً علىٰ العلم ومحاربة الجهل والتخلف، أيَّها أكثر حضًّا علىٰ التَّفكير، أيُّها أكثر حضًّا علىٰ عدم الاتباع الأعمى...؟؟؟ قطعاً، الإسلام علىٰ رأس الأديان التي تحترم العلم والعلماء، أكثرها دعوة وسعياً إلىٰ التَّفكير وإعمال العقل ومحاربة البدع والخرفات والأساطير والجهل والتخلف... هٰذه حقيقة باتت فوق أيِّ شكٍّ. فكيف يوصف من يدافع عن هٰذا الدين بالظلامية؟

سيقول بعضٌ: إنَّ الإسلام، أو الأديان كلها، تضع قيود على العلم والحرية... حسناً، الأديان كلها متساوية في ذٰلكَ، فلماذا توجه تهمة الظلاميَّة إلىٰ الإسلام تحديداً دون الأديان كلِّها؟!

لن يبقى السُّؤال معلقاً من دون جواب. كلٌّ لديه جوابه. ولٰكن لكلٍّ الأرضيَّة الخاصَّة به التي يقف عليها. الأرضيَّات مختلفةٌ. لا يمكن لذٰلك التَّفاهم.

الحوار بَيْنَ أرضيتين متخالفتين يشبه مسار مستقيمين شماليين؛ لا يلتقيان ولا يتوازيان ولا يتقاطعان.

الحرب علىٰ الإسلام ليست غربية فقط، أنظمة العالم العربي والإسلامي قامت بمثل ذَلكَ وأكثر. أكثر من نصف قرن من الحرب الإعلاميَّة علىٰ الإسلاميين في العالم العربي من قبل الأنظمة العربيَّة المسلمة، نصف قرن والفكرة التي تزرع في الرؤوس جميعاً أنَّ الإسلاميين إقصائيين، الإسلاميين يريدون الاستئثار بالسُّلطة، الإسلاميون يريدون أسلمة الدَّولة!!!

فماذا تنتظرون من كلِّ الأجيال التي انتفخ رأسها بهٰذه الأفكار؟

والسُّؤال الذي يقف الأغبياء أمامه ولا يسألونه:

وهل اليساريون الذي يحكمون زاهدون في السُّلطة؟

أليسوا هم أنفسهم من (لطش) السُّلطة منذ خمسين أو ستين سنة ولم يتزحزحوا عنها أبداً؟

أليست الأنظمة العربية ذاتها علىٰ رأس السلطة منذ أكثر من نصف قرن وهي التي أقصت الجميع من دون استثناء؟

متى جرت انتخابات حرَّة في العالم العربيِّ منذ أكثر من نصف قرن؟

فاز الإسلاميون في الانتخابات البرلمانية في الجزائر فانقلبت عليه السلطة ودمرت الجزائر علىٰ مدار عشر سنوات حَتَّىٰ أقصتهم وقضت عليهم قضاء مبرماً وجعلت الجزائريين يكفرون بالإسلام... ووقف العالم كله مساعداً للنظام الجزائري.

فازت الإسلاميون في فلسطين في الانتخابات البرلمانية فانقلبت عليهم السُّلطة الفلسطينيَّة وسرقت أموال الدولة ولم تبق فيها فلساً واحداً بكل ما تحمله

الكلمة من معنى، وليس هٰذا فحسب، بل لم تسلمهم السلطة، ولم تسمح لهم بالعمل، وحاصرتهم إسرائيل ومصر وسائر الدول العربيَّة والغربيَّة والشرقية ولم يسمح لهم حَتَّىٰ بإدخال الأموال التي جمعوها من أرجاء العالم ليدفعوا رواتب الموظفين...

فاز المحسوبون علىٰ الإسلام في تركيا فلم يحدث شيء، ولٰكنْ عندما نجحوا في السُّلطة صار الأنظمة العربيَّة تغلي وتخطِّط لإسقاطهم وتحرض عليهم للقضاء علىٰ نجاحهم.

فاز الإسلاميون في الانتخابات البرلمانية في مصر فحلَّ النِّظام العسكري البرلمان. فاز الإسلاميون في مصر في انتخابات الرِّئاسة فانقلب العسكر عليه وزجوا بكل من يقول لا إلٰه إلا الله في السُّجون المصريَّة... بل منعوا حَتَّىٰ الصلاة علىٰ النبي!!!

بعد كل هٰذه الحقائق: ماذا تنتظرون غير بركانٍ يغلي ويغلي ويغلي وينفجر فجأة أو علىٰ دفعات في وجوه الجميع؟!



الفصل الثاني
المنطقة مشتعلة
ولن تنطفئ إلا بالحسم

هٰـذا الفصـل في الأصـل مقـالان أولهمـا كتـب في أول الأسـبوع الأخـير مـن عـام ٢٠١٣م، وهـو الـذي بـدأ بهٰـذا الفصـل، وقـد حمـل عنـوان: نتـائج الثـورة السـورية ترسـم خريطـة المنطقـة وربَّمـا العـالم. والثـاني كتـب ونشـر في اليـوم الأخـير مـن عـام ٢٠١٣م[٢٣] هـو الـذي أختـم بـه الفصـل وقـد حمـل عنـوان الفصـل ذاتـه: المنطقـة مشتعلة ولن تنطفئ إلا بالحسم[٢٤].

مـن يظنـون أنَّ الثَّـورات حتميَّـة النَّصـر فهـم واهمـون، ولنـا في تـاريخ الثَّـورات الكثـير مـن النَّمـاذج الـتي يجـب أن تكـون أمـام أعيننـا وعقولنـا، ثَمَّـة ثـورات انتصـرت، وثَمَّـة ثـورات انهزمـت، وثَمَّـة ثـورات اقتربـت مـن النَّصـر إلىٰ أبعـد الحـدود ولٰكنَّهَـا انقلبـت موازينهـا وانهـزت، وثَمَّـة ثـورات أوشـكت علـىٰ الهزيمة وانتصرت...

نحن لسنا أمام قانونٍ ثابتٍ، ولا قاعدةٍ واحدةٍ نقيس عليها.

نحن في حقيقة الأمر أمام قوانين الحياة العادية والمنطقيَّة، مع بعض ما يمكن أن يضاف من خصوصيَّة الثَّورات؛ من يخطِّط جيِّداً، ويعمل جيِّداً... يصل إلىٰ

---

(٢٣) . ذكر التواريخ ودقتها مسألة مرتبطة بالحدث وتاريخه لربط ذٰلكَ بالسياق الزمني للقراءة. وهٰذا ما كان ضرورة علىٰ الأقل عندي في سلسلة كتبي التي تناولت الثورة السورية وانعكاساتها وبيئتها وآثاراها...

(٢٤) . مقالا هٰذا الفصل نشرا بداية في موقع الجمعية الدولية للمترجمين العرب، وبعده وعنه نشرا في أكثر من موقع من مواقع التواصل الاجتماعي.

النَّتيجة التي يريد أن يصل إليها، من يتواكل ويتكاسل ويخلط الحابل بالنَّابل ويفقد الضَّمير ويقدِّم مصلحته علىٰ مصلحة الوطن... كل أولئك يقودون إلىٰ نتائج عكسيَّة، احتمال كبيرٍ للهزيمة.

الأمر ليس معادلة استخراج العطر من المرحاض، ولا نضالاً لتحويل الخشب إلىٰ ذهب، المعادلة واضحةٌ وسهلةٌ...

ولذٰلك فإنَّ انتصار الثَّورة بهٰذه الوجوه البارزة أمرٌ مستحيلٌ، أمَّا الوجوه غير البارزة التي تأتينا أخبار انتصاراتها فهي التي يمكن أن تصنع النَّصر، ومع ذٰلكَ إذا لم تكن محقَّقة لشروط نصر الثَّورة فإنَّ انتصاراتها الجزئيَّة لن تكون إلا إضاءات خاطفة في الظلام تلمع حيناً وتختفي.

إنَّ الذين يتصرفون علىٰ أساس أنَّ نصر الثَّورة أمرٌ حتميٌّ ويتكلون علىٰ هٰذه الحتميَّة فإنَّهُم يغامرون بكل تضحيات الثَّورة ويضعونها في مهب الرياح واحتماليَّة الهزيمة.

علىٰ أيِّ حالٍ، إنَّ ما يخصُّ توقعات انتصار الثَّورة أو عدم انتصارها، المسألة ليست قرار شخصٍ، ولا أمنيات شعبٍ، إنَّهُ جملةٌ من الظُّروف والشُّروط والمعطيات المتكاملة، مدى تحققها هو الذي يحدد مسار النصر وإمكاناته.

المخاطر التي تهدِّد أيَّ ثورةٍ كثيرةٌ. أخطر ما يهدِّد أيَّ ثورةٍ هو الوثوقيَّة العمياء في النَّصر، أو الوثوقيَّة العمياء في الهزيمة. إنَّ الشَّعب الثائر الذي يتكل علىٰ أنَّهُ منتصرٌ غصباً عن الطبيعة والبشر ولا يفعل ما يجب فعله بالطريقة التي يجب فعلها فإنَّهُ يسلِّم نفسه للهزيمة النَّكراء البشعة. والشَّعب الثائر الذي لا يملك إرادة النَّصر، ويؤمن بأنَّهُ لن ينتصر، أو لا يريد أن ينتصر، أو ينتظر العوامل الخارجيَّة التي تساعده علىٰ النَّصر فاحتمال هزيمته كبيرٌ جدًّا. قلناها مرَّة ونعيدها: لا تستطيع

قوَّةٌ خارجيَّةٌ أبداً أن تهزم ثورة أرادت أن تنتصر، لا يهزم الثَّورات إلا إرادة الثَّورات أن لا تنتصر. ولا تستطيع قوَّةٌ خارجيَّةٌ أن تنصر ثورة لا يمتلك أهلها مقومات النصر، قد تستطيع القوَّة الخارجيَّة احتلال البلاد وتغيير السُّلطة كما حدث في العراق وأفغانستان، ولٰكن هٰذه ليست ثورة، هي احتلال وسلطة احتلال بأشخاص من أهل البلد.

فيما يخص الثَّورة السُّوريَّة بوضعها الراهن، الأمور معقدة نعم، ولَكنَّهَا لا تختلف في سياقها العام عما سبق الكلام فيه أبداً. هناك تخبيص وتلبيص، وهٰذا منطقي في ظلِّ هٰذه المعطيات التَّاريخيَّة، ولٰكن ما هو غير منطقيٍّ، وما لا يمكن القبول به أبداً أنَّهُ لا يوجد قيادة موحدة يلتزم بها الجميع.

أخطر ما تعيشة الثَّورة السُّوريَّة منذ البداية حَتَّىٰ الآن هو أنَّهَا بلا رأس، بلا قيادة موحدة، بلا قائدٍ ثوريٍّ، والثَّورة التي لا قائد أو لا قيادة موحدة لها ستقود البلاد إلى فوضى، والثَّورة التي لها أكثر من قيادة ستقود البلاد إلىٰ فوضى ودمار.

هٰذه حقائق وليست مخاوف، وبداهات وليست أفكاراً فلسفيَّةً معقَّدة يصعب علىٰ الناس إدراكها، إنَّهَا بداهات يدركها الأطفال ويمارسونها.

علىٰ أيِّ حالٍ، الحقيقة التي يجب أن تكون حاضرة في أذهاننا هي نتائج الثَّورة السُّورية تحدِّد وجه المنطقة. مهما كانت نتائج الثَّورة السُّوريَّة، من نصر نتمناه ولا نتمنى سواه، أو هزيمة لا سمح الله، فإنَّهَا ستغير وجه المنطقة ورُبَّما التَّاريخ البشري كله.

مثلما كانت عاصمة الخلافة دمشق فاتحة عصر جديد للحضارة البشرية بكلِّ ما تعنيه الكلمة، فإنَّ دمشق ستكون فاتحة عصر جديد، وانعطافة في تاريخ البشرية علىٰ مختلف الأصعدة والمستويات.

باختصار أقول:

إمَّا أن تنتصر الثَّورة السُّورية ومن ثَمَّ فإنَّ الثَّورة المصريَّة ستنتصر ويعاد صوغ العالم العربي والإسلامي من جديد عبر بوابة الشام مصر.

أو أن تنهزم الثَّورة السُّوريَّة لا سمح الله، وهٰذا يعني أن الثَّورة المصريَّة أيضاً ستنهزم، ولٰكنَّ المنطقة ستتحول إلىٰ جحيم يأكل الأخضر واليابس، ولن تكون قوَّةٌ قادرةً علىٰ ضبط هٰذا الجحيم.

في الحالين كليهما: وجه التَّاريخ سيتغير، وإسرائيل ستزول، وكلُّ هٰذه الجهود الأمريكيَّة الإسرائيلية لحماية نظامي الأسد والسيسي الحاميين لإسرائيل، إلىٰ جانب دول المنطقة، ستذهب هباء...

كلها ستذهب هباء، إسرائيل ستزول من الوجود وهي وأمريكا من فرض علىٰ المنطقة إزالتها، وإن لم يكن من السَّهل أبداً إقناعنا بقبولها في المنطقة.

ولذٰلك نصيحتي للشعب اليهودي في فلسطين أن يحمل أشياءه ويبدأ بالرحيل

أقول ذٰلكَ وأنا علىٰ يقيني، من الآخر، بأنَّ الحكام العرب لن يفعلوا شيئاً غير السِّياق الذي يسيرون فيه. وفي الوقت ذاته لقد أبدى الشَّعب العربي حَتَّىٰ الآن أنَّهُ أعجز عن أن يدرك خطورة الوضع ومآلاته.

ولذٰلك أكرر: إنَّ فرصة الرَّبيع العربيِّ القائمة حَتَّىٰ الآن فرصة التَّاريخ:

إمَّا أن تقوم قائمة العرب أو لا تقوم لهم بعدها قائمة

علامتان فارقتان الآن للحسم: إذا انطفأ ربيع سوريا فلن يكون للعرب ربيع أمَّا مصر فأمرها سجال ومرتهنة بوضع سوريا إلىٰ حدٍّ كبير...

المنطقة مشتعلة ولن تنطفئ إلا بالحسم

عندما هدد بشار الأسد بأن النار ستشعل المنطقة أصيب بعض الحكام بالإسهال(٢٥) فانكبوا علىٰ دعمه سراً ومحاربة الثورة في حين أعلنوا ظاهراً مساندة الثَّورة والوقوف ضد النِّظام.

وبعضهم الآخر وقف معه قلباً وقالباً سراً وعلناً.

لم يدرك الفريقان أنَّ النَّار ستحرق لحاهم وليس المنطقة فقط.

بوادر اشتعال المنطقة صارت ظاهرة، بل إنَّ المنطقة اشتعلت وانتهى الأمر، ولن يتوقف هٰذا الاشتعال إلا بحسم كلِّ الصراعات، وتصفية التاريخ، ووضع معالم المرحلة القادمة التي يمكن تلمس بعض معالمها، ولا يمكن الجزم فيها.

إن كان ثمَّة بقية من الوجدان عند القادة تحديداً فإنَّهُ يمكن تدارك إشعال المنطقة، أقول يمكن ولست متأكداً من ذٰلكَ، لأنَّ النيران التي فتحها القادة كانت فاجرة إلىٰ أبعد الحدود، رُبَّما إلىٰ الحدِّ الذي يتعذر معه توقف كرة الثلج.

---

(٢٥) . هكذا بدت الصورة أو أريد لها أن تظهر. الحقيقة التي أثبتها الواقع، وقد كتبت ونشرت في ذٰلكَ في حينه والكتابات موجودة في سلسلة كتبي عن الثورة السورية وخاصة الثورة السورية والمؤامرة الكونية الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب، الحقيقة التي كانت مؤكدة عندي وأكدها الواقع مؤخراً، علىٰ الأقل عندي أيضاً، هي الأنظمة العربية كانت منسجمة مع ما يفعله بشار الأسد انسجاماً تاماً، بل الأرجح أنَّ التنسيق بينه وبينهم لم ينقطع منذ بدايات الثورة إلىٰ اليوم.

كل المؤشرات تقول بانفلات الأمور وتعذر السيطرة عليها.

ومهما طال الزمان فإنَّ الغلبة لما يقتضيه المنطق والعقل والحق...

وكلما كان الثمن الذي يدفعه أهل الحق والمنطق والعقل كبيراً كان القصاص من الظالمين أكبر... ولا عذر لمن يقول لم أدر أن الحقيقة كانت كذلك أو كذاذالك.



الفصل الثالث

من سايكس بيكو إلى كيري لافروف

تفتيت المنطقة العربية والإسلامية وتذريرها ليس مسألة جديدةً علىٰ الإطلاق. والمطامع الكامنة وراء ذٰلكَ ليست خفيَّة علىٰ أحدٍ وربَّما ليست خفيفة علىٰ أحدٍ علىٰ الإطلاق في العالم العربي والإسلامي. سبق الحديث فيها كثيراً في كثيرٍ من المقالات والأبحاث والكتب التي تندُّ عن الحصر.

لا أريد أن أطيل في ذٰلكَ فتلك مسألة تبدأ ويصعب أن تنتهي. ناهيكم عن كونها مفهومةً لدى المواطن العربي والمسلم في أرجاء العالم العربي والإسلامي، تدرَّس في الكتب الابتدائيَّة والإعداديَّة والثانويَّة. وفوق ذٰلكَ بالكاد يرمُّ يوم لا تقف عنده وسلة إعمٍ أو أكثر من وسائل الإعلام العربي والإسلاميِّ.

أي إنَّ الأنظمة والشُّعوب معاً تعي هٰذه الحقيقة. وهٰذه هي مصيبة المصائب؛ أنَّهُ في ظل هٰذا العلم العام بهٰذه الحقيقة نجد أنَّ ممارسات الجميع تشير وكأنَّ أحداً من الطرفين لا يعي هٰذه الحقيقة.

سنقف في هٰذا الفصل عند محطَّات خاطفة سريعة من تطورات مسألة التقسيم والتفتيت والتذرير التي تسير في ركابها الأنظمة العربيَّة مع السياسات الدوليَّة في آن معاً. هٰذا الفصل أربعة مقالات دارت حول

الموضوع أولها النظام يبدأ رسميًّا بلبننة سوريا[٢٦]، الثاني من سايكس بيكو إلىٰ كيري لاڤروف[٢٧]، الثالث إن ما تحذره قد أتاك[٢٨]، الرابع أيها السُّوريون والعراقيون اقلعوا شوككم بأيدكم[٢٩]. وقد جمعت إلىٰ بعضها مع التَّقديم والخاتمة وبعض الإضافات.

الذي يفلق الرأس نصفين ألماً هو وزير الأوقاف السُّوري محمد عبد الستار السيد ومن يقف وراءه في القرار رقم ١٠١ الصَّادر في منتصف كانون الثاني ٢٠١٤م، والذي يقضي بأن تصبح مشيخة عقل الطَّائفة الدرزيَّة شخصيَّةً اعتباريَّةً تمثِّل الطَّائفة وتدير عقاراتها وتدافع عنها...

حلوة هٰذه: تدافع عنها...

لا أعرف ما التَّعليقات علىٰ هٰذا القرار، ولٰكنَّهُ أسوأ من احتلال العراق بألف مرَّةٍ، لأنَّهُ شرعنة من النِّظام لجعل سوريا نسخةً من الطَّائفية التي تحكم لبنان...

لبنان في المسألة الطائفيَّة أسوأ من العراق بألف مرَّةٍ، الطَّائفيَّة في العراق تقوم علىٰ أساس قوىٰ سياسيَّةٍ، والمحاصصة علىٰ أساس

---

(٢٦) . النظام يبدأ رسميًّا بلبننة سوريا، مقال كتب في ٢٠١٤/١/٢٢م، ونشر في عدد من مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي.

(٢٧) . من سايكس بيكو إلىٰ كيري لاڤروف، مقال كتب في ٢٠١٤/٢/٢م، ونشر في عدد من مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي.

(٢٨) . إنَّ ما تحذره قد أتاك، مقال كتب في ٢٠١٤/١/٤م، ونشر في عدد من مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي.

(٢٩) . أيها السُّوريون والعراقيوناقلعوا شوكوكم بأيدكم، مقال كتب في ٢٠١٤/٢/٢م، ونشر في عدد من مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي.

انتخابات؛ بغضِّ النَّظر عن شرعيتها وديمقراطيتها. ولٰكنَّ أمراء الطَّوائف في لبنان هم الذين يقرِّرون كلَّ شيءٍ مهما كانوا خونةً أو عملاء أو أغبياء... بيدهم القرار، وملزمون بالجلوس مع بعض بعد كلِّ جولة خيانةٍ أو خرابٍ... وكأنَّ شيئاً لم يكن!!!!

يأتي هٰذا القرار تكميلاً لتقسيم المحافظات علىٰ أساس طائفيٍّ... وسيصدر مثل هٰذا القرار للعلويين، وآخر للمسيحيين...

لم يكتف النِّظام بقتل مئات الألوف، واعتقال مئات الألوف، وتشريد الملايين، وتدمير أكثر من نصف سوريا... ها هو يدق آخر إسفينٍ في جسد الوطن... إنَّهُ يدمِّر سوريا حضاريًّا واجتماعيًّا.

الأمر ليس بهٰذه السُّهولة التي تبدو عليها أبداً. الأمر أخطر بكثير مما تتخيلون، إنَّهُ خطيرٌ علىٰ الجميع وليس علىٰ طرفٍ واحدٍ من الأطراف أبداً. حَتَّىٰ الدروز الذين سيفرحون بهٰذا القرار سيكونون مخطئين. وأيُّ طائفةٍ تقبل بهٰذا القرار ستكون شريكاً في الفوضىٰ والاحتراب الذي يدمِّر سوريا أكثر مما هي مدمرة.

للتوضيح أقول: الطَّوائف لها مراجعيَّاتها التي تأتمر بأمرها، ولا أحد يجهل ذٰلكَ، ولم يعترض عليه أحدٌ. ولٰكن أن تكون المرجعيَّة شخصيَّة اعتباريَّةً في الدَّولة فهٰذا ما لا يُقبل، ولا يَجُرُّ إلا إلىٰ الويلات. لأنَّ هٰذه المرجعيَّات ستكون أركان الدَّولة، وهٰذا ما لا يَتَّسِقُ مع أيِّ إمكانيةٍ لقيام دولةٍ قادرةٍ علىٰ التَّقدُّم خطوةً إلىٰ الأمام. لن يقبل ذٰلكَ أو يفرح به إلا الأغبياء أو الذين يريدون تدمير الوطن دماراً لا قومة منه أبداً.

يا سائرين في الظَّلام تحسبون ما تحت أقدامهم حطباً

أجسادكم هٰذي وأجساد أبنائكم وليست حطباً

إنَّ النِّظام السُّوريَّ بهٰذا القرار إلىٰ جانب كونه يرتكب أشنع جريمة بحق المجتمع والوطن والأمة فإنَّهُ ينفذ أجندات أعداء الوطن والأمة في شرذمته وتفتيتها وتقسيمها علىٰ أساس طائفي وعرقيٍّ. بعدما كانت الأمة أمة قسمها الاستعمار الغربي إلىٰ أقاليم وأقطار، ومضى في العقود الأخيرة إلىٰ مزيد من التفتيت والتقسيم من الدولة القطرية إلىٰ القبيلة والطائفة... وها هو النظام السُّوري يقدم نفسه خادماً أميناً لتنفيذ هٰذا المشروع. تعجز الأنظمة الغربية عن فعل ذٰلكَ من دون وسيط محليٍّ، مثلما كان الأمر في الانتقال من الأمة إلىٰ القطرية علىٰ يد رجالات عرب خانوا الأمة بغباء أو استغباء أو عمالة وخيانة مباشرة وكرسوا القطريَّة علىٰ حساب القومية والأمة، ها هو النِّظام السُّوري يكمل هٰذه المسيرة. كل ذٰلكَ من أجل أن يسانده الغرب في القضاء علىٰ ثورة شعبه عليه!!! كل ذٰلكَ من أن يبقى علىٰ الكرسي علىٰ الرَّغْمِ من إرادة الشَّعب!!!

لم تمض أيام حَتَّىٰ فاجأتنا لنا التايمز البريطانية بتقرير لا ندري إن كان تحليليًّا أم تسريبياً نشرته صحيفة في عدد الأحد ٢/٢/٢٠١٤م تقول: «إنَّ احتمال إعادة رسم خريطة الشَّرق الأوسط التي كانت حدّدت باتفاقية سايكس بيكو قبل نحو مائة عام هو الاحتمال المرجح لحلِّ الأزمة السُّوريَّة...»، والحقيقة لتكريس المشروع الغربي الصهيوأمريكي لشرذمة المنطقة أكثر.

وهنا يبرز التَّساؤل العريض: هل كان ما فعله النظام السُّوري تنسيقاً، أم تسبيقاً، أو هدية وتسويق لهٰذا المشروع. لا يمكن فصل

الأمرين عن بعضهما أبداً. ولا يمكن تجاهل ما يحدث في مصر من تحذيرات يطلقها السيسي وإعلامه الممول منه شخصيًّا من أنَّ الأخوان المسلمين يسعون لتقسيم مصر، مثلما حذر الأسد من أن المؤامرة أي الثَّورة تريد تقسيم سوريا لنكتشف، ولم نكن نجهل، أن الأسد هو ذاته الذي يقسم سوريا، هو ذاته الذي يسعى لتقسيم سوريا. السيسي نسخة مكررة تماماً في هٰذا الشَّأن، يضع نصب عينيه تقسيم مصر ويلصق الجريمة بظهر من لا يقبل به رئيساً مهما بلغ من الخيانة والدموية.

علىٰ أيِّ حال، قال تقرير التايمز المشار إليه قبل قليل: «إنَّ الصِّراع الدَّائر في سوريا منذ أكثر من ثلاثة أعوام لن ينتهي إلا بإعادة رسم خريطة منطقة الشَّرق الأوسط، التي حدَّدت في إطار ما يعرف باتفاق (سايكس بيكو) قبل حوالى ١٠٠ عام». وقد بدأ التفتيت فعلاً في السودان وقبلها العراق ثمَّ اليمن الآن، وها هم في طريقهم إلىٰ سوريا وسيعودون إلىٰ العراق... ناعيكم عن تحذيرات ومخططات للسعودية تحديداً والخليج العربي عامة، ومصر، وليبيا التي تجري فيها أمور التقسيم علىٰ قدم وساق.

من المسؤول عن ذٰلكَ؟

كل من يتَّهم الغرب فهو تافه. الغرب يريد ولٰكنَّ الأنظمة العربيَّة هي المسؤول الأول والأخير عن التَّنفيذ... ومعهم الخونة واللصوص الذي يساهمون بذٰلكَ ترويجاً أو تأسيساً أو تسويغاً أو مساعدة بأي طريقة من الطرق.

يتابع أنطوني لويد الصحافي والمحلل السياسي قائلاً: «رُبَّما لا يرغب أحدٌ في الإقرار صراحة بأنَّ تقسيم سوريا، وفق أسس طائفيَّة وفيدراليَّة، قد يكون حلاًّ

محتملاً ينهي الأزمة المستمرة». هو يقرُّ بأنَّهُ لا أحد يرغب في ذَلكَ. ولَكنَّهُ في الوقت ذاته يتابع بدهاء الإنجليز: «إنَّ الكثيرين يعربون سرًّا عن شكوك كبيرة في مدى استمرارية الخريطة، التي حُددت معالمها، قبل قرن من الزمان».

وهٰذا صحيح تماماً فالشكوك كبيرةٌ في خريطة سايكس بيكو، والربيع العربي كان يضمر في باطنه الكثير من احتمالات إعادة رسم خريطة سايكس بيكو. ولٰكنَّ الذي حدث أنَّ الأنظمة العربيَّة والسِّياسة الغربيَّة انتبهت إلى هٰذه الخطورة وأرادت أن تحول الشكوك في استمرار خريطة سايكس بيكو إلىٰ شكوك حقيقية ولٰكنَّ بعكس الاتجاه الذي سارت أو يجب ان تسير فيه.

فالسَّلاطين العرب لا مانع لديهم من مزيد التقسيم والتفتيت مقابل الاستمرار في مناصبهم. وهٰذا ما يفسر لنا تآمر الأنظمة العربيَّة علىٰ الثَّورة السُّوريَّة وعلى الرَّبيع العربيِّ بمجمله. وعلى هٰذا الأساس ينتهي لويد إلىٰ ضرورة «الوصول إلىٰ حلٍّ يعالج المشكلة الإقليميَّة، بدلاً من أن يركِّز فقط علىٰ سوريا سيستغرق عقوداً يسقط خلالها آلاف من القتلى الآخرين»، أي مساهمة سلاطين المنطقة في تكريس الفدراليات علىٰ أساسٍ طائفيٍّ وعرقيٍّ قبل أن يصبح القرار بأيدي الشُّعوب وتضيع فرصة السَّيطرة علىٰ المنطقة بضمانات الأنظمة ورعايتها فترةً من الزَّمن حَتَّىٰ يأخذ أبعادها واستقرارها الفيدرالي الذي سيتحول بطبيعة الحال إلىٰ دولٍ مستقلَّةٍ.

لن أقطع بعدم نجاح الفيدراليَّة في هٰذه الدَّولة أو تلك. سأفترض أنَّها ستنجح. ولٰكن هل يمكن أن تنجح في سوريا بعد كل هٰذا القتل والخراب والدمار والتشريد؟

لا أظن ذٰلكَ أبداً. ولا أظنُّ أنَّهُ يمكن أن تنجح الفيدراليَّة في أيِّ دولةٍ عربيَّة. أي فيدرالية ستنقسم إلىٰ دول. وهٰذا ما لا يعترض عليه الغرب إطلاقاً. وحتَّىٰ يُمَرَّرَ هٰذا المشروع تتم المطالة في حلِّ ما يسمَّى الأزمة السُّوريَّة من أجل تهيئة الأجواء المناسبة لإعادة رسم خريطة المنطقة العربيَّة من جديدٍ. مشروع الشَّرق الأوسط الكبير لم يمت في العقليَّة السِّياسيَّة الغربيَّة والأمريكيَّة خاصَّة. وأمريكا تطهوه علىٰ نارٍ هادئةٍ، والعرب مثل المهابيل يسيرون في الطَّريق المرسوم بكلِّ طاعةٍ بل بطاعةٍ غير مسبوقةٍ، فهم يحاربون من يحارب شَرذمة المنطقة أكثر.

أدركت أمريكا مخاطر التقسيم منذ فترة في حقيقة الأمر. ولٰكنَّهَا لم تتخل عن المشروع لأنه لا بديل عنه بالنسبة لها، ولذٰلك منذ أدركت ما سينجم عنه من مخاطر وهي تحاور تأمين الأجواء والبيئة المناسبة لتنفيذه من دون الوصول إلىٰ المخاطر التي يتوقع حدوثها في هٰذه المرحلة.

هل ستنجح أمريكا في ذٰلكَ؟

إن ما تريد أمريكا والغرب تحاشيه بتفتيت المنطقة هو ما سيحدث بالتفتيت، إنَّ ما تحذره أمريكا والغرب من عدم التفتيت هو ما سيلسعها إذا حدث التفتيت. ستُعاد كتابة تاريخ المنطقة على ضوء ما يجري في أرض الشام وسيكون أخطر مما توقعوه وخططوا له وتوهموه..

لا نطيل في تصوير ما حدث وتحليله، ولٰكن ما لا بُدَّ من التَّذكير به أنَّ الجميع تآمر علىٰ سوريا الثَّورة وسوريا الشَّعب. رُبَّما كانت تنتصر الثَّورة منذ البداية بمواقف حازمة حاسمة من قبل المجتمع الدولي كما حدث في مواقع أُخْرَىٰ، ولٰكنَّ لله أمراً لا بُدَّ أن يتمَّه ولو كره الكافرون. لقد تعاضدت قوى الطغيان كلها

علىٰ التعتيم علىٰ حقيقة ما يجري، وعلىٰ الوقوف مواقف مائعةً سخيفةً علىٰ أساس التَّصورات العمياء التي رسموها من أجل تسويغ تخاذلهم. لقد بدا خوفهم الحقيقي منذ البداية من أن تصل السُّلطة إلىٰ أي طرف لا يحقِّق مصالحهم كما يحققها النِّظام... وخطوة تلو خطوة نبت ما كانوا منه يخافون، وصاروا رُبَّما عاجزين عن مواجهته فاشتد أوار الثَّورة وعنف الصِّراع، ووصلت الأمور إلىٰ الفوضى التي لم يرجوها، كانوا يريدون (فوضى خلاقة) علىٰ حد تعبير كوندالزا رايس، أو هي فوضى العماء في حقيقتها... وهي التي تحقَّقت لتنجلي عنها الحقيقة التي ظلُّوا يهربون منها دهراً. وسيكون وجهاً لوجه أمام مارد الأمَّة.

إنَّهُم يسعون بكلِّ ما استطاعوا لاستيعاب هٰذا المارد وسحقه، ولذٰلك يماطلون في الحلول ويحاصرون الثَّورة، ولم يدروا أنَّهُم كلما حاصروا الثَّورة أكثر انفجرت في وجوههم براكين جديدة لم تكن في الحسبان.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب سينقلبون.

المجتمع الدولي ومعه الأنظمة العربيَّة لا يريدون القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة بقدر ما يريدون أن تظلَّ المنطقة مشتعلةً بالاقتتال الذي لا ينتهي...

أمريكا لا تبالي إن مات كل السُّوريين والعراقيين طالما أنَّهَا تحقِّق مآربها بجعل المنطقة كومة رماد ولو علىٰ جثث أهلها كلهم...

الأنظمة العربية كلها لا تبالي أيضاً طالما أنَّهَا علىٰ عروشها وتحمي عروشها من الثَّورات التي قد تطيح بها...

الشُّعوب العربيَّة والمسلمة كلها لا تبالي أيضاً طالما أنَّ القتل والمجازر حولها لا عندها...

استهتار ولا مبالاة وانعدام إحساس منقطع النظير.

إذن من يسأل ويبالي؟

إذا لم يسأل المسلمون بقتل المسلمين بهٰذه الطريقة فمن يسأل؟

إذا لم يسأل العرب بقتل العرب بهذه الطريقة فمن يسأل؟

الأنظمة العربية خرساء لما بيناه، فما بال الشُّعوب؟

ما بال الشُّعوب التي ما زلنا ننكشها منذ عشرات السنين ولم تتحسس؟

إنَّ الشُّعوب العربيَّة والمسلمة الصَّامتة علىٰ ما يحدث لأهلهم، أهلهم، هي أكبر شريك في الجريمة التي لا نظير لها في التاريخ. هٰذا بغض النَّظر عن طبيعة الهجمة.

علىٰ السُّوريين والعراقيين أن يدركوا هٰذه الحقيقة.

علىٰ السُّوريين والعراقيين أنفسهم أن يقلعوا شوكهم بأيدهم

علىٰ السُّوريين والعراقيين أن يدركوا جيِّداً تخاذل الجميع ضدَّهم وخاصَّة الحكام والشُّعوب العربيَّة.

نحن ندرك مصالح الغرب وغاياته وأهدافه، ولذٰلك لا يجوز أن ننتظر منهم أن يكونوا لنا سنداً في شيء، وكلُّ من ينتظر أي مساندة من الغرب فهو غبيٌّ ورُبَّما خائن.

أيها السُّوريون والعراقيون والأحوازيون والبلوش واليمنيون والمصريون الأحرار... يا أحرار العرب والمسلمين، وأخص الأحرار الشُّرفاء دون غيرهم لا نتظروا أحداً، اقلعوا شوككم بأيدكم وإلا فإنَّ المسامير ستكثر في أجسامكم... بل جثثكم. الهجمة مستمرة وتزداد شراسة وعنفاً ودموية وتكالباً من أقطاب البشر جميعهم. وحَتَّىٰ يقطعوا أوصال الشعب العربي والمسلم الحر الأبي ويقللون

من قدرتهم، ويمنعون تجمعهم سيزيدون في تقسيم الدول العربية والمسلمة وتفتيتها.

يحسبون بهٰذا التفتيت سيزيدون الشَّرذمة والتَّشتيت ولٰكنَّهُم لا يدركون أنَّهُم بذٰلكَ يشعلون بارود النفوس أكثر، هم يريدون تحطيم سايكس بيكو وسايكس بيكون سيتحطم فعلاً. إن تحطَّم بمعول الغرب والأنظمة العربية الخادمة له كانت مأساة، وإن كان الشعوب هي التي ستحطِّم سايكس بيكون كانت مأساة. في الحالين نحن أمام حمم البركان التي ستعيد تشكيل النظام العربي وربُّما العالمي.



الفصل الرابع

أوكرانيا والصراع الروسي الغربي

الصراع الروسي الغربي مسألة طويلة
جدُّ طويلة، لا يمكن اختصارها بمقال ولا
كتاب ولا كتب بما فيها من حقائق
مواجهة وأسرار غير معلنة، وتوافقات،
وخطوط حمراء وما إلىٰ ذٰلكَ كثير(٣٠).

ترجع المواجهة نظريًّا وربَّما عمليًّا إلىٰ عقب الحرب العالمية الثاني عندما تقاسم الروس العالم مع الأمريكا بوصفهما المنتصرين علىٰ دول المحور.

في عام ١٩٨٧م بدأت بوادر تفكك المنظومة الاشتراكية التي تقودها روسيا تحت اسم الاتحاد السوفيتي بعد ضمها عدداً من الدول المجارة تخت قبة الكرملين، وفي عام ١٩٩٠م انهار الاتحاد السوفيتي ذاته ولم يعد موجوداً(٣١). توقع العالم كله أنَّ الحرب الباردة انتهت، وقد انتهت، وأنَّ المواجهة بَيْنَ الغرب والشرق (بمعناه الاشتراكي) قد انتهت. وقد انتهت كما بدا. ولٰكن سرعان ما راحت تبدو معالم سياسة أمريكية عدائية ضمنيًّا تجاه روسيا قائمة علىٰ ابتلاع

---

(٣٠) . هٰذا الفصل في الأصل مقالان بعد هٰذه المقدمة، الأول كتب ونشر ٢٠١٤/١/١٢م في عدد من مواقع النت والتواصل الاجتماعي تحت عنوان هٰذا هو الغباء الذي لا علاج له، والثاني الأزمة الأكرانية وآفاقها الذي كتبت في مطلعها في ٢٠١٤/٣/١م، وأضيفت له بعض التطورات الذي طرأت علىٰ الأزمة، وهي كلها منشورة أساساً بالتاريخ ذاته في الجمعية الدولية للمترجمين العرب مع الإضافات، وعن هٰذا الموقع نشرت في أكثر من موقع.

(٣١) .كان هٰذا الانهيار مدعاة لوضع كتابي: كيف ستواجه أمريكا العالم الذي نشر بدمشق عام ١٩٩١م، وفي آفاق السِّياسة الأمريكية وآفاق المواجهة بَيْنَ أمريكا وروسيا التي تحققت فيها نبوءاتي كلها علىٰ مدار ما سبق من السنين.

محيطها ومحاصرتها بقواعدها وعدم الثقة فيها... الأمر الذي أعاد من تحت الرماد نفخ النار في الموقف الروسي والعمل علىٰ استعادة المكانة والدور.

ورويداً رويداً استمرت أمريكا بسياستها الاستفزازية لروسيا بقضم بقايا ضمن حلف الناتو أو ضمها إلىٰ الاتحاد الأوروبي، واستمرت روسيا في الصمت وتلقي الصفعات والانصياع للإرادة الأمريكية، والعجز عن اتخاذ أي قرار في السِّياسة الدولية، إلا في الأطر الضيقة المحيطة بها، والتي تدور في فلكها.

قدر الثَّورة السُّوريَّة أن تكون المارد الذي هز العالم في كل شيء. وعادت الحياة إلىٰ روسيا العظمى من خلال الثَّورة السُّوريَّة. فقط مع الثَّورة السُّوريَّة صار الروس دولى عظمى لا تقبل المساس بسيادتها ولا سيادة سوريا، لماذا سوريا تحديداً؟ لا أطيل، لأنَّ سوريا هي اليد التي توجع الغرب وأمريكا أكثر من أي دولة في العالم. فيما يبدو أن روسيا هي التي عرقلت كل مشاريع الغرب والمجتمع الدولي تجاه النظام السُّوري والثَّورة السُّوريَّة. وهٰذا وهم تحدثنا في غير مرة وفي أكثر من مناسبة وموقع. ولٰكنَّ ذَلكَ سجّل نجاحات للسياسة الروسية/ البوتينية.

في هٰذا السياق كتبت في ٢٠١٤/١/١٢م: يبدو للجميع أنَّ روسيا تتقدَّم علىٰ الجبهة السِّياسيَّة وتحقّق انتصاراتٍ كبيرةً علىٰ الأمريكان والغرب، وتفرض إرادتها وإيقاعها في الملف السُّوري.

للتَّذكير فقط.

نشرت هنا غير مرَّةٍ منذ بداية الثَّورة أنَّ الرُّوس يمتازون دائماً بالاستثمار الغبي في السِّياسة... يتنطعون دائماً تنطُّع الثَّور للدِّفاع عن القطيع أمام هجمة الأسود... ويبوء موقفهم بالخزي أخيراً دائماً.

الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع هي أنَّ الروس عبر تاريخهم لا يتَّخذون في المواقف الحرجة إلا أغبىٰ المواقف السِّياسيَّة.

ولمن يحسب أن روسيا تحقق المكاسب وتتقدَّم وتفرض إرادتها وإيقاعها في الملف السُّوري نقول له: هٰذا فيما يبدو صحيحاً، فيما يبدو وليس في الحقيقة. ولنسأل المعجبين بدهاء الروس في السِّياسة: ما التقدم الذي تحققه روسيا في غير الملف السُّوري؟ أين الموقف الروسي الذي يستحقُّ القول إنَّها قويَّة سياسيًّا في غير الملف السُّوري؟؟؟

فقط في الملف السُّوري تستعرض روسيا عضلاتها وفي الملف السُّوري فقط وفقط... وحَتَّىٰ في الملف السُّوري لا تحسبوا أنَّ روسيا قادرةً علىٰ الاعتراض علىٰ الغضب الأمريكي إذا وقع. تذكروا عندما صرخ أوباما بعد الكيماوي ووجه البوارج إلىٰ الساحل السُّوري. حينها طأطأ لافروف وبوتين رأسيهما مثل الأرانب وقالوا: «روسيا لن تخوض حرباً مع أحد من أجل أيِّ نظام في العالم». وفي السِّياق ذاته أعلنت المحللة الروسية سوبولينا أكثر من مرة: «لا تلقوا اللوم علىٰ الفيتو الروسي، لو أردات أمريكا التدخل لما أبهت بالفيتو الروسي، عندها ألف طريقة للالتفاف على الفيتو الروسي...».

هٰذه هي نقطة الفصل، وهٰذا هو مفتاح اللغز: أمريكا تريد الفيتو الروسي وترحِّب به لتختفي وراءه، وهي في الوقت ذاته تدفع الروس إلىٰ المزيد من التورط في الملف السُّوري حَتَّىٰ لا يكون لهم أي وجود في المنطقة... نفسيًّا علىٰ أقلِّ تقدير.

إنَّ ما يبدو ظاهرياً من تقدُّم للموقف والحضور الروسي علىٰ السَّاحة السِّياسيَّة العالمية من خلال الملف السُّوري تحديداً ليس ناجماً عن قوَّةٍ روسيَّة ولا

كفاءة سياسيَّة روسيَّة، وإنَّما هو ناجم عن تراجع الفعل الأمريكي، والإحجام الأمريكي عن مما رسة أيِّ دورٍ إيجابيٍّ أو سلبيٍّ في الملف السُّوريِّ. العجز الأمريكي عن عدم القيام بأي دورٍ جادٍّ . ظاهريًّا . في الملف السُّوري لأسباب أمريكيَّة وإقليميَّة هو الذي أفسح في المجال لروسيا أن تلعب دوراً بيديها علىٰ أنها تستعيد إمبراطوريتها. بل إنَّ ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية كلُّه يساعد روسيا علىٰ الانتفاخ في تعظيم حضورها في الملف السُّوري، فالولايات المتحدة تمنع الدول الإقليميَّة التي تريد أن تساعد الثَّورة السُّوريَّة من القيام بأيِّ فعلٍ مؤثِّرٍ في دعم الثَّورة السُّوريَّة، وهٰذا ما يتيح لروسيا وإيران الظهور بمظهر القوي والفاعل والمؤثر في هٰذا الملف.

يعيدنا هٰذا إلىٰ التَّوريط الأمريكي لروسيا تحديداً ورُبَّما لإيران في الملف السُّوري أكثر. رُبَّما يكون ذَلكَ عن دارية أمريكيَّة وتخطيط أمريكي، ورُبَّما يكون وهٰذا هو الأغلب من عجز الإدارة الأمريكية وضعف أدائها وعدم رغبتها في التورط في الملف السُّوريَّة لأسباب إقليمية وأمريكيَّة كما أشرنا، ولٰكن في الحالين كليهما روسيا موغلةٌ في التورط في خسارة رصيدها.

الروس خسروا كلَّ شيءٍ في سوريا. مهما كانت نتائج الثَّورة السُّوريَّة لم يعد لورسيا أي حضور في الذهنيَّة السُّوريَّة إلا قلَّة قليلة ستحقد عليهم عندما يتخلون عن النظام السُّوري مثلما تخلوا سابقاً عن مواقفهم بكل خزي وعار في اللحظة الأخيرة من القرار الأمريكي أو الدولي.

هٰذا هو دأب الروس في الغباء السياسي الذي يتكرر كلَّ مرَّةٍ بالطريقة ذاتها وبالإخراج ذاته: يتورطون في الوقوف موقفاً معاكساً للتيار، ويركبون رأسهم حَتَّىٰ اللحظة الأخيرة، ويكابرون علىٰ قرارهم الخاطئ، ويرفضون التراجع حَتَّىٰ لا

تنكسر كلمتهم، وأخيراً تنكسر رقبتهم، ثمَّ يعودون للغباء ذاته في أول حدث كبير: كان أول ما نذكره لهم في تاريخنا وقوفهم إلىٰ جانب محمد علي ضد التحالف الفرنسي البريطاني التركي، وعدوه ووقفوا معه حَتَّىٰ دمروه وانكسرت رقبتهم. مع عبد الناصر في عدوان حزيران تكرر الموقف ذاته، وقفوا معه، تعهدوا له، وعدوه، وصار العدوان وكانت النكسة العربية، والذل الروسي. ومع صدام حسين في حرب تحرير الكويت وفي عدوان الاحتلال تكررت القصة ذاتها: ضاعت العراق، وانكسرت رقبة الروس. ومع حليفتها الروح بالروح صربيا كانت القصة ذاته...

السِّياسة الروسية في المواقف الحرجة تشبه المقامر الخاسر دائماً؛ يخسر ويصر علىٰ التعويض ويخسر ويصر علىٰ التَّعويض، ويخسر ويصر علىٰ التعويض... يغريه في بعض الأحيان ما يحسبه تقدماً أو ربحاً وهو فتات الإغراء. ألم تسمعوا عن حجشنة الدب الروسي عندما يهجم فيخرب الدنيا من أجل فراشة؟! هٰذا هو الدُّب الروسيُّ.

الغريب المدهش في ذَلكَ كله، وحَتَّىٰ هٰذه اللحظة التي لا أسرار فيها، أنَّ الروس يمارسون هٰذا الغباء بغباء ويظنون أنَّهُم يستغبون العالم ويسمون ذَلكَ مهارة وشطارة.

قال أنشتين يوماً: الغباء هو أن تفعل الأمر ذاته مرتين بالطريقة ذاتها وتتوقع نتائج مختلفة... فكيف إذا فعلته مرات كثيرة بالطريقة وكل مرة تتوقع نتائج مختلفة؟ هٰذا هو الغباء الذي لا علاج له.

في شباط ٢٠١٤م حدث ما لم يكن متوقعاً، وقعت الأزمة الأوكرانية، ثورة أوكراني، مؤامرة غربية ضد روسيا كما قال الروس. رُبَّما كذَلكَ الأمر. ولَكنَّهَا

ثورة علىٰ نظام تابع لموسكو. تخلخلت الأمور واضطرب، وانقلبت الموازين. وفي أواخر شباط وصلت الأمور إلىٰ حسم، هرب الرئيس الأوكراني إلىٰ موسكو وسيطر أنصار الغرب. كتبت في مطلع آذار ٢٠١٤م:

هل ستدخل روسيا في حرب مع أوكرانيا؟

ما موقف أمريكا من الغزو الروسي لأوكرانيا؟

ما موقف أوروبا فيما لو كان غزو روسي لأوكرانيا؟

روسيا بالعقلية البوتينية لن تسمح بخسارة أوكرانيا... والعزيمة علىٰ التدخل قوية ونهمة. فاليوم، وفي ظاهرة ديمقراطيَّة غريبة جديدة استنها **باراك أوباما**، أحال **بوتين** إلى المجلس الفيدرالي الروسي طلباً بتفويضه بالتَّدخل العسكري في أوكرانيا لحماية المصالح الروسية. وقد صفق له المجلس بحرارة وردَّد الأعضاء: بوتين بوتين بوتين... بما يعني بالدَّلالة العربية: بوتين أو لا أحد، بتوتين أو نحرق أوكرانيا... وانتهى المجلس إلىٰ الإجماع على تفويضه بالتدخل في جزيرة القرم لحماية المصالح الروسية والرعايا الروس. بل إنَّ بعضهم قال: كل شبر في أوكرانيا لنا مصالح فيه يجب التَّدخُّل فيها... ذكرنا بعضو مجلس الشعب السُّوري في أول خطاب لبشار الأسد في مجلس الشعب بعد اندلاع الثَّورة السُّوريَّة، ذَلكَ الذي قال: أنت قليل عليك أن تحكم سوريا.. أنت يجب أن تحكم العالم...

علىٰ أي حال، نحن هنا أمام نتيجة تريث أيَّام بدا فيها أنَّ الروس يدرسون الخريطة السِّياسيَّة الدوليَّة، خلاف ما كان في مواقفهم فيما سبق مع سوريا والعراق وغيرهما...

لا داعي للتفكير كثيراً في سبب التأخر بضع أيام للتحرك أو إعلان نية التحرك فلذلك ألف سبب وسبب. المهم والغريب هو طلب بوتين التفويض من مجلس الاتحاد الروسي. وليس غريباً أن يوافق المجلس بالإجماع على ذلكَ.

رُبَّما يشبه هذا التَّهديد الروسي بالتدخل العسكري في أوكرانيا التهديد الأمريكي عندما استخدم النظام السُّوري الكيماوي، أي إنَّهُ نوعٌ ممن الاستفزاز والضغط على أوكرانيا من أجل البقاء تحت المظلة الروسيَّة. إذا كانت روسيا تفكر بهذه الطريقة فهي تضيف برهاناً قاطعاً جديداً على أنَّهَا تمارس البلاهة السِّياسيَّة بجدارة.

وإذا تدخلت روسيا في أوكرانيا فعلاً وقامت بالغزو على غرار ما حدث مع جورجيا، فإنَّهَا ستضيف برهاناً آخر على بلاهتها في إدارة الأزمات... وذلكَ بسبب الخصوصيَّة الأوكرانيَّة وكونها الخاصرة الشَّرقيَّة لأوروبا الغربية، إلى جانب كون الشَّعب الكرواتي معظمه قد كره العلاقة الروسية ويتطلع إلى أوروبا الغربية.

أما أن لا تتدخل وتترك الأمور تسير على ما تقتضيه الأحوال. فهنا أيضاً ستكون روسيا قد أضافت برهاناً قاطعاً أيضاً على بلاهتها السِّياسيَّة وغبائها في إدارة الأزمات. لأنَّهَا هدَّدت وأرغدت وأزبدت وجمعت المجلس الفيدرالي ومع ذلكَ لم تفعل شيئاً... وخسرت رئتها الكبرى ولم تفعل شيئاً...

الاحتمالات الثلاث هي النَّتيجة الحتمية للغباء السياسي، والبلاهة في إدارات الأزمات، وروسيا مشتهرة في ذلكَ، إنَّهَا تختار الوقوف دائماً في الموقف المريب المحرج الذي سيجعلها في مأزق مهما فعلت مهما كانت النتائج، ويضطرها أخيراً للخروج بأقل ما يمكن من الخسائر.

قد تتدخل روسيا وتحتل جزيرة القرم[٣٢]، الأمر ليس مستبعداً، ولٰكن إلىٰ أين ستسير المركبة بعد ذٰلكَ؟

أغلب الظنِّ أنَّ الأمور لن تكون بخيرٍ ولن تصل إلى أيِّ استقرارٍ لأنَّ المناخ العالمي، بغضِّ النَّظر عن تدخلات خارجيَّة، لن يسمح للأوكرانيين بالسكوت أو الرضوخ للاحتلال الروسي لأي جزء من أراضيهم. وستشتعل المنطقة بكل تأكيد.

فإذا أضفنا إلىٰ ذٰلكَ أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة ترغب بشدَّةٍ في توريط روسيا بأزمةٍ في هٰذه المنطقة، أزمة حرب تشغلها وتستهلكها فترةً من الزمن تتكسر فيها الأجنحة الروسيَّة والإرادة الروسيَّة، أمكننا القول إن تورط روسيا بهٰذه الحرب سيكون مغنمةً أمريكيَّة ترعاهاً بشدَّةٍ وتغذيها.

هٰذا الموقف الأمريكي نتيجةٌ منطقيَّةٌ لا حتميَّة. أعني بذٰلكَ أنَّ المنطق يقول إنَّ مصلحة الولايات المتحدة الأمريكيَّة أن تقصقص أجنحة روسيا التي بدا أنَّهَا في السنوات الأخيرة آخذة في التعاظم والتمرد والخروج الفاضح علىٰ السِّيادة الأمريكية، خلاف ما كان منذ انهيار الاتحاد السوفيتي.

ولٰكن ألا يحتمل أن بينهما توافق ضمني؟

الأمر ممكن. ولكنَّهُ مهما كان لن يكون تمازج مصالح علىٰ غرار تمازج المصالح الأمريكيَّة مع أوروبا الغربيَّة. ولذٰلك فإنَّ أيَّ فرصةٍ تتاح لأيٍّ منهما للنيل من الآخر لن يتركها تفوت هٰكذا من دون استثمار.

---

[٣٢] . حدث هٰذا فعلا بعد ثلاثة أيام من كتبة المقال ونشره، وسأعود إليه في ختام القول مع إضافات أُخْرَىٰ.

قبل أن نذهب إلىٰ العامل الثالث في هٰذه الأزمة. أرجو ألا يربط أحدٌ بَيْنَ الأزمة الأوكرانية والأزمة السُّوريَّة إلا من باب أزمة إضافيَّة تكون عبئاً علىٰ روسيا. ولن يكون هناك أي صفقة أمريكيَّة روسيَّة من أيِّ نوعٍ لترك سوريا مقابل السَّماح لروسيا بأوكرانيا، أو حَتَّىٰ العكس. بل لا أظن إلا أنَّ الولايات المتحدة ستعطي الضمانات الكافية لروسيا ببقاء الوضع السُّوري علىٰ ما هو عليه، فيما لو أرادت روسيا التَّدخل في أوكرانيا، واليوم تحديداً في تسريب ما عاد تسريباً، اقترح فريق من البنتاجون علىٰ **باراك أوباما** أن يعطلوا الطيران السُّوري ويمنعوه من الإقلاع من المطارات بطريقة إلكترونية لوضع حدٍّ لإلقاء البراميل والصواريخ علىٰ المدنيين، بعيداً عن التَّدخل العسكري ومخاطره. ولٰكنَّ **أوباما** رفض ذٰلكَ... أراد أن تسير الأمور علىٰ ما هي عليه.

هنا يبرز العامل الثالث. أوكرانيا أكبر دولة أوروبيَّة مساحةً بعد روسيا. وهي جبهة عريضة جًّد أمام أوروبا الغربيَّة. فإذا ما اشتعلت المنطقة فإنَّ أوروبا لن تستطيع الوقوف مكتوفة الأيدي. أرجو أن لا نقارن بَيْنَها وبَيْنَ البوسنة والهرسك فلا مجال أبداً للمقارنة بَيْنَ الحالتين، للقول بأنَّهُ كما سكتت أوروبا في أزمة البوسنة ستسكت الآن. لا مجال للمقارنة. ولا مجال للمقارنة كذٰلكَ بالتدخل الروسي في جورجيا أيضاً فأيضاً الفرق شاسعٌ واسعٌ.

إذا اشتعلت أوروبا ستحترق كل أوروبا. هل ستقبل أوروبا بذٰلكَ؟

ثَمَّةَ سهولةٌ في التغطية علىٰ ما يحدث في سوريا للجم الرأي العام الأوروبي. فهل سيكون من السهولة التَّستر علىٰ ما سيكون في أوكرانيا إذا اشتعلت أوكرانيا؟

أوروبا لن تسمح أبداً باشتعال المنطقة.

لن تسمح طالما تستطيع ذٰلكَ.

ولأنَّ السِّياسيَّة لا دين لها لا ندري كيف ستكون التسويات الأوروبية الأمريكية الروسية فيما لو تورَّط الروس ودخلوا إلىٰ أوكرانيا... التسويات التي ستكون من أجل إطفاء النار في المنطقة، فالمؤكد تماماً أن الشَّعب الأوروبي والحكومات الأوروبية مثل الشَّعب الأمريكي غير مستعدين لدفع ضريبة أيِّ صراع مهما كانت نتائج هٰذا الصراع. أعني بذٰلكَ أنَّ أوروبا في محصلة الأمر لن تفعل شيئاً سوى العمل علىٰ إطفاء النار لأنه لا أحد مستعد لدفع ضريبه أزمات خارجية. وستكون أوكرانيا خارجية.

ولٰكن في كلِّ الأحوال. يبقى الدُّبُّ الروسي هو سبب هٰذا الغليان الذي لا ندري إلىٰ أين سيقود أوروبا في المنعطف القادم، فيما لو أصرَّ الدُّبُّ الروسيُّ علىٰ التَّمادي في البلاهة.

بعد أيام من نشر القسم السابق، في ٢٠١٤/٣/٤م اجتاح الروس جزيرة القرم الأوكرانية.

وها قد احتل بوتين جزيرة القرم.

لن نقف عند الازدواجية فقد صارت باهتة من العيب الكلام فيها.

ما الذي سيحدث؟

قلنا إنَّ أوروبا ستكون مستعدَّةً للتَّسويات مقابل عدم إشعال المنطقة... وهٰذا ما سيكون كما يبدو حَتَّىٰ الآن.

قلنا إنَّ الدب الروسي هو السبب والنتيجة، وها هي الدبلوماسية الباردة جدًّا، الدبلوماسية الألمانية علىٰ لسان إنجيلا ميركل تقول: «إن بوتين منفصم عن الواقع».

وما بَيْنَ هذين الخطين تسير الأمور

بعد نحو أسبوعين، في ٢٠١٤/٣/١٧م تحرك روسي جديد:

هاهي روسيا خلال أيَّام تعيد ترتيب الأوراق بسرعة بالغة وخاطفة، وتجري استفتاءً تحت الحراب وتضم جزيرة القرم إلىٰ روسيا.

كان الرئيس الروسي ينتظر فرض عقوبات أوربيَّة وأمريكيَّة بعد الااستفتاء فإذ به يتلقى مكالمة من أوباما وكيري يتعهدان فيها بالتعاون مع روسيا.

هٰذه ليست تسوية ولا قبولاً بالأمر الواقع علىٰ أيِّ حال، ولٰكنَّهَا مقتضيات الحال.

مهما بلغت الخلافات بَيْنَ الطرفين فإنَّهَا تبقى هوامش علىٰ متن عدوٍّ أساسيٍّ هو العرب والمسلمون. ولأنَّ العالم العربي والإسلامي يغلي فكل الحوادث الأُخْرَىٰ هوامش.

أضفت في ٢٠١٤/٣/١٩م: من الطبيعي أن لا تسكت أوكرانيا. بل مما لا يمكن توقعه أن تسكت أوكرانيا عن احتلال القرم وضمها إلىٰ روسيا.

ولكن ماذا يمكن أن تفعل؟

اليوم أعلنت أن الوضع مع روسيا أصبح وضعاً عسكريًّا وموجهات عسكرية...

ولٰكن إلىٰ أين يمكن أن تسير المركبة؟

هل ستسمح أوروبا بتوليع المنطقة؟؟؟؟؟؟

لا أظن ذَلكَ... سيبحثون عن تخريجات للموقف.

ولٰكن، حَتَّىٰ الآن، الأسبوع الأخير من الشهر الثالث ذاته سكتت أوكرانيا علىٰ اغتصاب جزيرة القرم.

رُبَّما لذٰلك أسباب تاريخية.

ولٰكنَّ الأوضاع علىٰ الحدود الأوكرانية الروسية وفي المناطق الشرقية من أوكرانيا التي يكثر فيها الروس والناطقين بالروسية... أوضاع متوترة ساخنة: التوتر هادئ يطبخ علىٰ نار هادئة يزداد وينقص... والسخونة كذٰلكَ شأنها... هناك شَحْنٌ متزايد التنوع والتعقيد يوحي ظاهرة بأن الأمور تحت السيطرة... ولٰكنَّ بواطن الأمور وظواهرها حَتَّىٰ الآن تشبه إلىٰ حد بعيد التوتر والتسخين الذي سبق الحرب العالمية الثانية علىٰ نحو خاص.

فهل ستسير الأمور في مسار الحرب العالمية الثانية؟؟؟

في ٢١ و٢٢/٥/٢٠١٤م حدث تطور خطير وكبير، تم الاستفتاء على انفصال شرقي أوكرانيا وكانت الموافقة بتسعين بالمئة (استنساخ استفتاء جزيرة القرم). وتقدم الانفصاليون علىٰ الفور بطلبٍ للانضمام إلىٰ روسيا.

قد لا تكون هناك ردود فعل دولية فورية صارخة، فمثلما بلعت سلخ القرم وضمها إلىٰ روسيا قد تبلع سلخ ثلث أوكرانيا وضمها إلىٰ روسيا... ولكن الأكيد أن ملامح المجتمع الدولي ستتغير بعد ضم شرقي أوكرانيا إلىٰ روسيا إذا سمحوا بهٰذا الانضمام. هل ستستلم أوكرانيا والغرب لهذه الخطوة التي تعني قولاً واحداً تنامي الشره الروسي أمام السكوت الغربي؟

مع إعداد الكتاب للنشر في أواخر عام ٢٠١٤م، كانت الأمور قد وصلت منذ أشهر إلىٰ حرب حقيقية بَيْنَ شرقي أوكرانية وغربييها. حرب الاستقلال الذي تقودها روسيا رسميًّا في شرقي أوكرانيا. هل هي من أجل تقسيم أوكرانيا، أم من أجل استعادة أوكرانيا؟ أم من أجل تلقين الغرب درساً بأن روسيا قد عادت؟

الأمور في الحقيقة تسير نحو رجحان كفة الروس في استعادة دورهم السوڤيتي. هٰذا لا يؤرِّق الغرب في نظري لأنَّ الفرق هائل بَيْنَ روسيا اليوم وروسيا الشيوعية التي تتقاطب أيديولوجيًّا مع الغرب الرأسمالي والغرب المتدين. مهما كان مستوى الإلحاد في العقلية الروسية فإنَّ البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية الروسية بعد انهيار الاتحاد السوڤيتي هي بنية رأسمالية حرة. نقطة الصراع الوحيدة التي تشكل بؤرة توتر ضمنية، سريَّة، كواليسية، هي الاختلاف الكنسي بَيْنَ روسيا وأوروبا الغربيَّة عامة. وهٰذا الاختلاف في حقيقة الأمر هو أصل الخلاف والاختلاف والصراع. ولٰكنَّهُ يظل بعد الصراع مع العالم الإسلامي والعالم العربي بكل تأكيد.





الفصل الخامس

تصعيد الصراع الطائفي والديني

علىٰ ما هي عليه المنطقة العربية والإسلامية من توتر وصراع هبت أمريكا وإسرائيل وأنظمة عربية وقبلهم وبعدهم إيران والنِّظام السُّوري إلىٰ إخراج مارد الصِّراع الطَّائفي من القمقم، وما يجرُّ إليه هٰذا الصِّراع من تصعيد للصراع الديني الإسلامي المسيحي اليهودي بسبب التدخلات الغربية والأمريكية خاصَّة في هٰذا الصراع(٣٣). وهٰذا ما سنعود إليه فيما يخص إيران وتركيا.

عندما قرأت هنتنچتون، وقرأت رؤيته للصِّراع الطَّائفي الإسلامي، وخاصَّة السُّنِّي الشِّيعي، قَرَّ في نفسي أنَّ السِّياسة الغربيَّة تُعِدُّ العدَّة لإشعال هٰذه الفتنة. وراد ذهني علىٰ الفور قول چولدا مائير، أو رُبَّما موشي دايان: «ما زالت القنبلة الموقوتة في حوزتنا» أي الطائفية.

وقلت في نفسي: هٰذا حلم إبليس في الجنة...

قلت ذَلكَ بناء علىٰ معرفتي بالسُّنَّة وعقلية السُّنَّة وتفكيرهم لأنَّهُم لا يمكن أبداً أبداً أبداً أن ينجروا إلىٰ صدام طائفيٍّ مع الشِّيعة... إنَّهُم يعترفون بهم ويحترمونهم.

---

(٣٣) . هٰذا الفصل خلاصة ثلاثة مقالات أولها كيف تنبأ هنتجنتون بالصراع السني الشيعي الذي كتب ونشر في ٢٠١٤/٢/١١م، ثانيهما من هم الظلاميون؟ نشر في ٢٠١٤/١١/٥م. وآخرها أوبامانويل يلبي طموحات العرب والمسلمين نشر في ٢٠١٤/٩/١١م.

ولٰكن بعد سنة ونصف من الثَّورة السُّورية وجدت نفسي أمام هاجسٍ مختلفٍ عن انطباعي الأوَّل عن هنتنچتون، وراحت سياط السُّؤال تجلد مخيلتي:

ترى هل يعرف صُنَّاع القرار الغربيين ومنهم هنتنچتون عن الطوائف الإسلاميَّة أكثر مما نعرف نحن وأكثر مما يعرف أهل الطوائف أنفسهم؟

أن نكون أمام مشروعٍ ومخطَّطٍ غربيٍّ لهٰذا الصِّراع فهٰذا شبه مؤكَّدٍ. ولٰكنَّ الذي حدث لا يمكن أن يكون هو المخطَّط الغربي. الغرب ركب الحدث ولعب فيه بعدما وقع، وليس قبل أن يقع. أعني أنَّ ما وصلنا إليه من صراعٍ طائفيٍّ في سوريا والمنطقة هو وليد المنطقة، وليد التدخل الشِّيعي الإيراني واللبناني والحوثي والباكستاني... في سوريا بطريقة طائفيَّة صريحةٍ، وليس هٰذا الأمر قراراً أمريكيًّا، ليست الولايات المتحدة هي التي أمرت الشِّيعة بالدخول إلىٰ سوريا والدِّفاع عن النِّظام علىٰ أساسٍ طائفيٍّ، ليست أمريكا هي التي أمرت رجال الدِّين الشِّيعة بالتَّصريح في الخطب وعلىٰ مختلف المنابر باستنفار الشِّيعة للجهاد في الشَّام ضدَّ أتباع يزيد... أمريكا مسرورة من ذٰلكَ، وتغذيه بكلِّ ما تستطيع...

لا يمكن أن ننكر أنَّ أمريكا تسعى إلىٰ ذٰلكَ. ولٰكن لا يمكن أن أصدق أنَّ الشِّيعة يفعلون ذٰلكَ امتثالاً لقرارٍ أو إملاءٍ أمريكيٍّ. ولذٰلك أجدني في حيرةٍ شديدةٍ أمام نبوءة صاموئيل هنتنچتون قبل نحو عشرين سنة في مقال محاضراته التي ألقاها عام ١٩٩٢م لقراءة آفاق ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وتوسَّع فيها لتصير بحثاً ثُمَّ كتاباً.

وأسأل: ما الذي تعرفه بعد يا هنتنچتون؟

وماذا يوجد في عقول صُنَّاع القرار الغربي بعد؟

منذ مطالع عصر النَّهصة العربيَّة في أواخر القرن الثَّامن عشر انتبه الرُّوَّاد إلىٰ ضرورة القراءة، القراءة، القراءة... ولٰكن مضت السِّنين ونحن لا نقرأ، ولا نفهم، ولا نعمل، فصرنا أضحوكة بل خرقة تمسح أمم الأرض بنا أحذيتها.

دعوني أستحضر المثل الشَّعبي الذي يقول:

«الذي يجعل حاله زبالة ينعثه الدجاج».

وهٰذه أمَّتنا جعلت من نفسها ممسحة لأمم الأرض.

الظَّاهر أنَّ الغرب يعرف عنا أكثر منَّا

يعرف تفاصيل وأسرار المذاهب والطوائف في العالم الإسلامي أكثر مما نعرف نحن عنها

ولذلك هم يرسمون ويخططون بهدوء وطمأنينة

ويقودون عربتنا بثقة وراحة بال

ويسيطرون علىٰ المستجدات من دون أيِّ تعب

ونحن مثل المهابيل المساطيل

ليس هٰذا تشاؤماً إنَّهُ الحقيقة

منذ وعيت علىٰ الدنيا وإلىٰ اليوم لم أجد أحداً أو فريقاً يوصف بالظلاميَّة إلا المسلم الذي يدافع عن الإسلام. وعندما أقول الإسلام فأنا أعني السُّنة، السُّنة ليست طائفةً، السُّنة ليست مذهباً، السُّنَّة هي الإسلام، هي الأمَّة الإسلاميَّة.

حَتَّىٰ غير المسلم مهما كان دينه أو لا دينه إن دافع عن الإسلام فهو موضوعيٌّ وعقلانيٌّ وعلميٌّ وراقٍ وحبَّاب ومحترمٌ. فقط المسلم الذي يدافع عن الإسلام هو الظلاميُّ.

ومن طريف التَّناقضات هنا أنَّ المسلم وغير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إذا هاجم الإسلام بأيِّ طريقةٍ من الطُّرق فهو يمارس حريته، وهو شجاعٌ، وهو موضوعيٌّ، وهو نبراس الوعي والنضج... هو كذَٰلكَ مهما كانت طريقة الهجوم؛ مؤدَّبة، غير مؤدبة، فيها إساءة، فيها تشويه، فيها تحريف، فيها تخريف... لا يهم، المهم أنت تحوز أوسمة الشَّجاعة والبطولة والنبل وتعتلي المحافل الدولية ويُفرش لك السجاد الأحمر عندما تهاجم الإسلام.

المفارقة المضحكة المبكية هنا هي أنَّ غير المسلم من أيِّ دينٍ أو لا دينٍ إن دافع عن الإسلام فهو بطل ونبيل وعلمي وعقلاني... وإذا هاجم الإسلام فهو أيضاً بطل ونبيل وعلميٌّ وعقلانيٌّ... أمَّا المسلم فهو بطلٌ ونبيلٌ وعلميٌّ وعقلانيٌّ... فقط إذا هاجم الإسلام أمَّا إذا دافع المسلم عن الإسلام فهو ظلامي. بل ويا للغرابة والدهشة عندما تجد العالم يشيد براجحة عقل أحدهم وأهميته وعظمته وفجأة من دون مقدمات يصير مجنوناً، مخرِّفا، فقد عقله... فقط إذا تحول إلىٰ الدفاع عن الإسلام بعد أن كان يهاجمه.

في المقابل، المسيحية قبل الإسلام، وعدد المسيحيين أكثر من عدد المسلمين، وهناك مسيحيون يدافعون عن المسيحيَّة بشدَّة، وبتعصُّبٍ، وبتطرُّف، ومع ذَٰلكَ لم أجد عَبْرَ عشرات السِّنين من يصف هؤلاء بالظلاميين!!!

اليهودية قبل المسيحيَّة وقبل الإسلام، وبالقياس اليهودية أقليَّة في ميزان الأكثريات الدِّينية والعرقيَّة. وفيها متطرفون يفوقون تطرف المسلمين والمسيحيين، ومع ذَلكَ لم أجد أبداً عَبْرَ ما مضى من عشرات السِّنين من يصفهم بالظلاميين!!!

الهندوسيَّة، والبوذيَّة المنبثقة عنها اللتان تسبقان هٰذه الأديان الثَّلاث بمئات السِّنين، وعدد معتنقيها يساوي كلاًّ من الدِّيانتين علىٰ حدةٍ، وهي بمنزلة الديانة الوثنيَّة مقارنة مع الأديان السماويَّة، فيها من المتطرفين أيضاً ما لا يقلُّ عن تطرف المسلمين واليهود والمسيحيين. ومع ذَلكَ لا توجد أيُّ إشارةٍ أو كلامٍ أو تصريحٍ أو تلميحٍ إلىٰ ظلاميَّةٍ هندوسيَّةٍ أو بوذيَّةٍ!!!

حسناً، حَتَّىٰ في العقائد الإلحاديَّة بمختلف أنواعها يوجد متطرفون يفوقون بتطرُّفهم تطرُّف مترفي الأديان السَّماوية والوضعية والوثنية... والعقائد الوثنيَّة فيها كذَلكَ متطرفون... ومع ذَلكَ لم نجد أبداً من تحدَّث في يومٍ من الأيَّام عن الظلاميَّة الشِّيوعيَّة أو غيرها!!

لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

إذا كان الموضوع موضوع تطرُّف فقد وجدنا أنَّ الجميع علىٰ الأقل متطرفون مثل المتطرفين المسلمين، فلماذا المسلمون وحدهم ظلاميون، والآخرون يمارسون حريتهم، وليسوا ظلاميين؟

سيقول قائل: رُبَّما لأنَّ المسلمين ينادون أو يريدون العودة إلىٰ زمن الرسول أو يريدون تطبيق الشَّريعة الإسلاميَّة!!! عجباً، وهل المتطرفون في الأديان الأُخْرَىٰ ينادون بخلاف ذَلكَ؟ الأولى إذن أن منتسبي الأديان الأُخْرَىٰ هم من يجب أن

يوصفوا بالظلاميين لأنَّ الإسلام أحدث هٰذه الأديان، أولئك يغرقون أكثر في الماضي! هٰذا مع تذكُّر أن الاتهام يوجه لكلِّ مسلمٍ ملتزم، وليس فقط للمتطرف المسلم، فيما نحن نتحدث عن متطرفي الأديان الأُخْرَىٰ لا عن الملتزمين دينيًّا فيها.

إذن لماذا المسلمون حصراً هم الظلاميون؟

أرجو أن لا نخلط بَيْنَ الظلاميَّة والإرهاب، تهمة الإرهاب ناقشناها في مقال آخر ضمن سياق هٰذا العنوان ذاته. فالإرهاب مرتبطٌ بالوحشيَّة والدَّموية وقد بيَّنا في مقال خاصٍّ بالموضوع ما بيناه[٣٤]. الظَّلاميَّة تهمةٌ تنصب علىٰ العقليَّة. ونحاول أن نعرف لماذا عقليَّة المسلم إذا التزم بدينه كانت ظلاميَّةً، بَيْنَما عقليَّة أيِّ ملتزمٍ بدينه من الأديان الأُخْرَىٰ لا تكون ظلاميَّة!! لماذا فقط المسلم إذا دافع عن دينه يكون ظلاميًّا، ولا يكون غير المسلم ظلاميًّا إذا دافع عن دينه؟!

مثل الإرهاب كلمة بلا معنى محدد، وتهمة محددة الهدف، كذٰلكَ الظلامية، لا نعرف ما المقصود منها، لأنَّنا علىٰ ضوء كلِّ ما تحمله من معاني نجد أنَّ الظلامية تنطبق علىٰ كل ما هو غير إسلاميٍّ أكثر مما تنطبق علىٰ الإسلامي فلماذا يسير الجميع عكس المنطق؟

ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أنَّ الاتهام مقرونٌ بالإسلامي تحديداً وليس بالاجتماعيِّ، أي ليس بعقليَّة الشَّخص الاجتماعيَّة. فلا يتهم السُّلوك بالظلاميَّة إذا لم يكن مقترناً بالدِّفاع عن الإسلام أو المناداة به.

---

(٣٤) . راجع كتابي: العالم في مواجهة الإسلام، الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب. وفيه أكثر من مقال عن اتهام الإسلام بالإرهاب، ويرجى مراجعة الفصل الأول للمقارنة مع أكثر الحضارات إرهابا ووحشية.

الظلاميَّة تكريس الجهل وتكريس التَّخلف ومحاربة العلم... هل يمكن أن تتضمن غير ذَلكَ؟ حسناً، قارنوا بَيْنَ الإسلام وكلِّ الأديان. أيها أكثر احتراماً للعلم ودعوة للعلم وحضاً علىٰ العلم ومحاربة الجهل والتخلف، أيَّها أكثر حضًّا علىٰ التَّفكير، أيُّها أكثر حضًّا علىٰ عدم الاتباع الأعمى...؟؟؟ قطعاً، الإسلام علىٰ رأس الأديان التي تحترم العلم والعلماء، أكثرها دعوة وسعياً إلىٰ التَّفكير وإعمال العقل ومحاربة البدع والخرفات والأساطير والجهل والتخلف... هٰذه حقيقة باتت فوق أيِّ شكٍّ. فكيف يوصف من يدافع عن هٰذا الدين بالظلامية؟

سيقول بعضٌ: إنَّ الإسلام، أو الأديان كلها، تضع قيود على العلم والحرية... حسناً، الأديان كلها متساوية في ذَلكَ، فلماذا توجه تهمة الظلاميَّة إلىٰ الإسلام تحديداً دون الأديان كلِّها؟!

لن يبقى السُّؤال معلقاً من دون جواب. كلٌّ لديه جوابه. ولٰكن لكلٍّ الأرضيَّة الخاصَّة به التي يقف عليها. الأرضيَّات مختلفةٌ. لا يمكن لذَلك التَّفاهم. الحوار بَيْنَ أرضيتين متخالفتين يشبه مسار مستقيمين شماليين؛ لا يلتقيان ولا يتوازيان ولا يتقاطعان.

هٰذه الممارسات الازدواجية الصارخة المعادية للإسلام معاداة فجة مفضوحة من دون سبب مقنع أبداً أدَّت إلىٰ ردود أفعال مختلفة علىٰ الغرب والسياسة الغربيَّة منها ما يسمى المجموعات والتنظيمات المتطرفة أو المتشددة، ويسمونها الإرهابيَّة أيضاً، ولا إرهاب ولا ظلامية إلا ما يأتي من الإسلام والمسلمين كما أبنا قبل قليل. هٰذه الفكرة ذاتها وحدها كافية لتأجيج العالم العربي والإسلامي تأجيجاً غير قابل للضبط.

في هٰذا السياق نشأ تنظيم الدولة الإسلامية بتطوراته المتتالية إلىٰ حين إعلان الخلافة الإسلاميَّة الأمر الذي طير عقول الحكام العرب تحديداً وأولاً ثمَّ العالم الغربي. ودخلت المنطقة خاصة في دوامة صراع لا أحد يدري آفاقه.

نعلم علم الاستنتاج يقيناً أن الأنظمة العربية عامة وعلىٰ رأسها بعض الخليجية هي علىٰ رأس حملة التَّجييش ضدَّ تنظيم الدولة الإسلاميَّة ولولاها لما تشكل التحالف الدولي لمحاربة تنظيم الدولة. وفي السياق كون سوريا أرض توجد عليها دولة الخلافة نهض الإئتلاف الواطني السُّوري لقوى المعارضة أعلن في ١١/٩/٢٠١٤م علىٰ لسان كثيرٍ من أعضائه في لقاءات وتصريحات: «إنَّ قرار أوباما بضرب الدَّولة الإسلاميَّة يلبي طموحات الشَّعب العربي». واستمر في المطالبة بضرب التنظيم في سوريا. ولتكتمل الطرافة أنَّ النظام السوري ذاته رحب وهلل وفرح بتوجيه الضربة لسوريا، وليس هٰذا فحسب بل معظم زعماء العرب ومفكرين عرب أبدو ارتياحهم الشَّديد لقرار أوباما، وقالوا بأنَّ هٰذا القرار يلبي طموحات شعوب المنطقة.

إذن، أوباما نويل يلبي طموحات الشُّعوب العربيَّة والمسلمة...

ولٰكن الفايننشل تايم اليوم أي ١١/٩/٢٠١٤م عنونت بالخطِّ العريض أن: «الإدارة الأمريكيَّة تواجه عدم ثقة العرب في جديتها بالقضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة...». هٰذا العنوان ليس بالجديد، فقد تواترت بعض الأنباء منذ أيام بأنَّ العرب لن يشاركوا في الحملة الأمريكيَّة حَتَّىٰ تقدِّم الإدارة الأمريكيَّة ضماناتٍ بعدم تراجعها عن القضاء علىٰ الدولة الإسلاميَّة.

يبدو أنَّ العرب لا يستطيعون التَّعايش مع الإسلام ولا مع الدَّولة الإسلاميَّة وهم يشكُّون في أنَّ الإدارة الأمريكيَّة جادَّة في القضاء علىٰ الدَّولة

الإسـلاميَّة... يبـدو أنَّ العـرب يظنُّـون أنَّ أمريكـا عميلـة للإسـلام ولا تريـد أن تحاربه... عميلة للدولة الإسلامية ولا تريد القضاء عليها، يعني عكس كل ما كان يروج لها الإعلام من أنَّ الدولة الإسلامية عميلة لأمريكا، طلعت أمريكا هي العميلة للدولة الإسلاميَّة... هكذا رُبَّما تظن الأنظمة العربيَّة التي تشك في جدية أمريكا في حربها ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة... الدُّول العربيَّة لا تحبُّ المزح، ولا تقبل بالوعود الغامضة، تريد ضمانات أكيدة بأنَّ أمريكا ستقضي علىٰ الدولة الإسلاميَّة.

ولٰكـن مـع كـلِّ شـكوكهم في الإدارة الأمريكيَّـة وميلهم إلىٰ عـدم جدية الأمريكان في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلامية فإِنَّهُم لم يستطيعوا تفويت فرصة الحرب علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة لعَلَّها تأتي بنتيجة، فقد قام اليوم وزير الخارجيَّة الأمريكي جون كيري بتدشين مؤتمر مكافحة الإرهاب أي مكافحة الدَّولة الإسلاميَّة بعشر دول عربيَّة ومعهم تركيا، ومكان المؤتمر جدة.

أتى هٰذا المؤتمر تلبية لدعوة أوباما نويل وتنفيذاً لاستراتيجيته التي أعلنها أمس بأنَّ محاربة الدَّولة الإسلاميَّة يجب أن تكون بأيدي المسلمين أنفسهم (السُّنَّة)، وأنَّ أمريكا لن ترسل أي جنديٍّ لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة، علىٰ اعتبار أنَّها لا ناقة لها ولا جمل في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة، المسلمون هم من يريد القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة بسبب ما حساسيتهم الزَّائدة من الإسلام، وليس المسيحيون ولا غيرهم، ولـذٰلك علـىٰ المسـلمين أنفسـهم أن يقتلـوا أنفسـهم بأيديهم، لا مصلحة لأمريكا بتلويث أيديها بدماء المسلمين.

أمريكـا والغـرب عامَّـة لا مصـلحة لـه بقتـل المسـلمين، أمريكـا والغـرب حريصون علىٰ الإسلام، حريصون علىٰ الصُّورة الحسنة للإسلام، ولذٰلك سعت

أمريكا والغرب إلىٰ حشد دوليٍّ كبيرٍ لمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة لأنَّ الدَّولة الإسلاميَّة لا تمثِّل الإسلام، بل إنَّهَا تشوِّه الإسلام، وهٰذا لا يرضي أمريكا ولا يسرها، ويزعجها، ويعكر مزاجها، ويجعلها تقلق ولا تعرف كيف تنام لأنَّ الدولة الإسلاميَّة تشوِّه صورة الإسلام.

المسألة ليست بهٰذه البساطة أبداً. كل ذٰلكَ مدعاة حقيقيَّة وصميميَّة لنزع فتيل الأمان والاستقرار في المنطقة، وقد نُزِعَ فعلاً، والمنطقة العربيَّة عامَّة علىٰ شفير هاوية، علىٰ فوهة بركان. صحيحٌ أنَّ وضع المنطقة علىٰ فوهة هٰذا البركان رغبة أمريكيَّة إسرائيليَّة ورُبَّما غربيَّة ولٰكنَّهَا تنفُّذ بأيد زعماء العرب وقادتهم برغبتهم ووعيهم فقط من أجل أن يبقوا علىٰ الكراسي.



الفصل السادس

النووي الإيراني ومستقبل المنطقة

لا بُدَّ بداية من أكثر من توضح. هٰذا الفصل في الأصل مقالان مع إعادة أولهما هل انتهى الملف النووي الإيراني[٣٥]؟، وثانيهما مجموع تعليقات مقالات نشرت تحت عنوان إيران والثورة السورية ومستقبل المنطقة[٣٦].

المسألة الثانية هي أن الملف النووي الإيراني أضحوكة مثيرة للاستغراب عند من لا يعرف حقائق الأمور، إذا كان متابعاً. فالملف النووي الإيراني مستمر في النقاض من جولة إلىٰ جولة منذ نحو عشرين سنة، فيما لم يعط نظام صدام حسين فرصة تفاوض واحدة علىٰ الإطلاق، تلقة الإنذارات علىٰ الفور، والتهديد، والضرب، والاحتلال.

المسألة الثالثة، هٰذا الفصل سيكون جزءاً من عمل شامل عن التمدد الإيراني في العالم العربي، سيصدر قريباً، غالباً في العام القادم. ولنبدأ بالسُّؤال: هل انتهى الملف النَّووي الإيراني؟

العلاقة بَيْنَ إيران والثورة السورية والنظام السوري ومشتقبل المنطقة علاقة صميميَّة إلىٰ أبعد الحدود. كتبت محذراً في ٢/١١/٢٠١٣م: يخطئ من يظنُّ أن إيران غير قادرةٍ علىٰ التهام دول الخليج العربي كلها خلال أيَّام قليلةٍ من أجل فرض تسويات جديدة.

---

(٣٥) . هل انتهى الملف النووي الإيراني، نشر في مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي في ٢٥/١١/٢٠١٣م.

(٣٦) . إيران الثورة السورية ومستقبل المنقطة نشر في مواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي في ٢٥/١٢/٢٠١٣م.

ويخطئ من يظنُّ أنَّ إيران لا تفكر في ذٰلكَ تفكيراً جديًّا.

ويخطئ من يظنُّ أنَّ دول الخليج العربي اتخذت أيَّ احتياط لمثل هٰذا التَّهديد المحتمل بشدة.

ويخطئ من يعتقد أو يظنُّ أنَّ الفرصة المتاحة الآن أمام دول الخليج لاتخاذ الاحتياطات ستبقى كثيراً. وأكبر خطيئة ترتكبها دول الخليج الميمونة أنَّ تظنَّ أنَّ الولايات المتحدة ستدافع عنها مثلما دافعت عن الكويت يوماً ما؛ دافعت عن الكويت لأنَّ العراق هي التي احتلتها ولو أنَّ إيران هي التي فعلت ذٰلكَ لما اهتز الجفن الأمريكي.

وقع هٰذا الكلام موقعة عند من يفهم المعادلات السياسيَّة وعنده رؤية استراتيجيَّة. ولٰكنَّهُ فيما يبدو لم ولن يجد أذنا صاغيةً عند حكَّام العرب وخاصَّة الخليجيين منهم. والذي بدا لنا أنَّ معظم حكومات الخليج ليست إلا بيادق بيد كسرى. هٰذا في أحسن الظَّن طبعاً.

لن نعود إلىٰ ما مضى من التاريخ كثيراً الآن. ولٰكنَّ حساسية الموقف وخطورته تستدعي منا العودة قليلاً إلىٰ التاريخ؛ أجتزئُ هنا خاتمة مقال لي كتبته في أول أيام عام ٢٠٠٥م بعنوان وصار الخليج فارسيًّا، ونشرته في كتابي العرب جثة تنهشها الكلاب الذي صدر عام ٢٠٠٩م، وفي هٰذه الخاتمة:

من الخطأ القول إنَّنا لا ندري إن كان لإيران مطامح ومطامع في لعب دورٍ إقليميٍّ في المنطقة. فإيران في توقٍ إلىٰ إعادة أمجادها الفارسيَّة. ولا نبوح بسرٍ إذا قلنا إنَّ إيران ترى أنَّها الأحق في احتلال المنطقة العربيَّة والسَّيطرة عليها بدل أمريكا، ولذٰلك لا نستبعد أن تقوم لاحقاً بترويج أفكار تخدم هٰذا المشروع من قبيل

أنَّ العراق جزءٌ من إيران قديماً، أو أنَّ الكويت أو الإمارات أو قطر جزءٌ منها... أو رُبَّما كلها جزء من الإمبراطورية الإيرانيَّة.

لا نغفل هنا أبداً أنَّ الحقد الفارسي علىٰ العرب لم يتوقف منذ إسقاط الإمبراطورية الفارسية. فالفرس علىٰ الرَّغْمِ من دخولهم الإسلام فإنَّهَم منذ انهيار إمبراطوريتهم وهم يكنون الحقد البالغ علىٰ العرب، ورُبَّما علىٰ الإسلام أيضاً. ويرون أن سقوط إمبراطوريتهم علىٰ يد العرب أو المسلمين أمر لا يمكن أن يغتفر ولا بُدَّ من الثأر له.

لذَلك فإنَّ الموقف الإيرانيَّ من العرب غيرُ مرتبطٍ بالموقف الطائفي، ولا علاقة له به. إنَّهُم عندما كانوا سُنَّةً خرجت منهم الحركة الشُّعوبية التي تقزِّم العرب وتقلل من شأنهم وقيمتهم. وعندما تحولوا إلىٰ شيعةٍ وأعلنوا انتماءهم إلىٰ آل البيت لم يتغيَّر حقدهم علىٰ العرب وحرصهم علىٰ الثَّأر من انهيار إمبراطوريتهم علىٰ أيدي العرب والمسلمين.

كل ذَلكَ يعني أنَّ المشروع الفارسيَّ قادمٌ بقوَّةٍ، وإنَّمَا هو يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض علىٰ المنطقة. وما المجاهرة بإعلان اسم الخليج الفارسي إلا خطوة أولى على طريق هٰذا المشروع.

العرب حكومات وشعوباً نيام... نيام.... نيام...

فمتى يستيقظون؟

كم مرة سألنا هٰذا السؤال وما من مستيقظ يسمع النداء!!

فجَّرنا القنابل كلها ولم يستيقظوا!!!

إيران وحزب الله يدركون هٰذه الحقيقة تمام الإدراك ويعرفون ماذا يريدون. أما الحكام العرب فمنغمسون في الملاهي والملذات

الشخصيَّة والغباء الاستراتيجي أو الخيانة العظمى، ولا شيء ثالث يفسر سلوكهم. ولذلك ما إن اندلعت الثَّورة السُّوريَّة حَتَّىٰ استنفرت إيران وحزب الله كامل الاستنفار وراحوا يتدخلون في الوضع السُّوري رويداً رويداً في كلِّ مرحلةٍ أكثر من سابقتها تبعاً للحاجة.

يخطئ من يظن أن التَّدخل الإيراني والحزبلاتي في قمع الثَّورة السُّورية لم يكن منذ البداية. ومنذ سنة لم تعد تغفل إيران ولا حزب الله تدخلهم الصريح عسكرياً ومادِّيًّا ومعنويًّا في مناصرة النظام السُّوري. ولقد أعلن حسن نصرالله إعلاناً صريحاً في آخر خطاب له قبل يومين؛ الجمعة ٢٠/١٢/٢٠١٣م أنَّ سقوط نظام **بشار الأسد** يعني نهاية إيران، وهو يقصد في أقل تقدير نهاية المشروع الإيراني في السَّيطرة علىٰ المنطقة، وفي احتمال أبعد قليلاً وضع حدٍّ للقدرة الإيرانيَّة. ومن ثَمَّ حزب الله الذي ليس أكثر من بيدق إيراني في المنطقة وقد أعلن زعيم الحزب ذٰلكَ بوضوح عشرات المرَّات وليس مرَّةً واحدةً.

إيران لا تتعامل مع سوريا علىٰ أنَّها دولة صديقة، إيران تتعامل مع سوريا علىٰ أنَّها محافظة إيرانيَّة، جزء من إيران، **وبشار الأسد** ليس أكثر من محافظ كلفته إيران بإدارة الشؤون السُّوريَّة. ولذلك فإنَّ إيران تريد بأيِّ ثمنٍ أن تكون شريكاً أو طرفاً في حل (الأزمة السورية) سياسياً. الصفة الوحيدة التي يمكن رؤيتها من هٰذا الحضور هي أنَّها شريكة في القتل والدمار، وأكبر المتضررين من سقوط النظام السوري. وقد أعلن أكثر من مسؤول إيراني أكثر من مرةٍ أن سوريا جزءٌ من إيران، وأن سوريا محافظة إيرانية، وأنَّ **بشار الأسد** محافظ سوريا الإيراني.

ولذلك نحن لا نستغرب إصرارها علىٰ الحضور لأنَّهَا تتوهَّم أو ترى أن هٰذه هي علاقتها بسوريا.

ولكنَّنا نستغرب من الإقرار الدولي بهٰذه الأوهام والاعتراف بأنَّ سوريا محافظة إيرانية وفرضها جزءاً من الحلِّ السِّياسي السُّوري. وأكثر ما يثير الاستغراب ليس الإصرار الروسي علىٰ حضور إيران جنيف٢ ولٰكنَّ إصرار المبعوث الدولي **الأخضر الإبراهيمي** علىٰ حضور إيران مؤتمر جنيف٢؛ لماذا هٰذا الإصرار **الإبراهيمي** خاصَّةً ومعه الروسي على حضور جنيف٢، أي علىٰ أن تكون إيران شريكة في (الأزمة السُّورية)؟

هل هو من أن أجل تفرض حضورهاً في سوريا ما بعد الثورة؟

أم من أن أجل أن تتم ترضيتها بحصة في سوريا ما بعد الثورة؟

هل هو اعتراف بدورها الإقليمي أم من أجل إعطاءها دوراً إقليمياً؟

هٰذه الأسئلة سألناها قبل جنيف ١ ونعيد طرحها من جديد.

هٰذا الكلام والتساؤلات مع تصاعد الحديث عن ضرورة عقد جنيف٢ في أوائل تشرين الثاني ٢٠١٣م. ففي هٰذه الفترة بدأ إصرار **الإبراهيمي** شديداً على حضور إيران ومشاركتها في جنيف٢، ووصل الأمر إلىٰ هٰذا الأخطل الإبلايهمي يتمنى علىٰ إيران أن تتفضل وتتكرم وتقبل أن تشارك في جنيف٢. كانت إيران تعرقل أيَّ خطوة بشأن سوريا لا تكون شريكةً فيها، وتثبت فوق الأرض مترين إذا لم تستطع أن تشارك، فماذا حدث؟

سنجد من يقول: رُبَّما تتخلى عن النِّظام السوري في ظلِّ تسوياتٍ جديدةٍ مع الولايات المتحدة...

إيران لن تتخلى عن النظام السوري حَتَّىٰ تراه يتهاوي وتطلع علىٰ تقرير الطبيب الشرعي. لا تستغربوا فقد قالت إيران غير مرَّةٍ: إنَّ سوريا محافظة إيرانيَّة. وها قد مضت سنة ولم ينكر النظام السوري ذَٰلكَ ولم يعترض عليه، ليؤكِّد حقيقة أنَّهُ محافظ إيراني لسوريا...

اليوم ٢٠١٣/١١/٢م تعلن إيران على لسان **جواد كريمي** ما عكفت إيران علىٰ إنكاره منذ سنة، وهو أنَّها أرسلت مئات الكتائب للقتال ضد السوريين الثائرين على النظام. وليس هٰذا فحسب بل أكَّد حقيقة أنَّ الحرس الثوري الإيراني هو الذي يقود سوريا اليوم. فهل سيطول الأمر كثيراً لتعلن إيران من طهران قائمة المسؤولين الجدد في سوريا؟؟

إذن وارء الأكمة ما ما وراءها.

كان هٰذا الكلام في ٢٠١٣/١١/٢م. بعد غيابها فترة عن التَّصريحات المتعلقة بجنيف خاصَّة والثَّورة السُّوريَّة، وتساءلنا في ذَٰلكَ التاريخ عن سبب هٰذا الغياب: غياب إيران المفاجئ. وكتبت في ذَٰلكَ التاريخ: هناك مساومات كبيرة تجري بَيْنَ أمريكا وإيران، التي غابت منذ فترة عن التصريحات في الشَّأن السُّوري. فيما العالم ونحن خاصة منشغلون بجنيف٢ الذي يدرك الروس والأمريكان والغرب أن فرص انعقاده شبه ممتنعة، ومع ذَٰلكَ فإنَّ ضخهم الإعلامي لمؤتمر جنيف٢ كبيرٌ جدًّا.

سيفاجئ العالم، غالباً، بتفاهمات أمريكية إيرانية، لا ندري حقيقتها، ولَٰكنَّهَا ليست مما يسرُّ عالمنا العربي بكلِّ تأكيد. ضوءٌ صغيرٌ فقط نلقيه علىٰ الحدث: الوثيقة التي قدَّمتها إيران لأمريكا من أجل التفاهمات القادمة تتضمن بنداً يقضي بالاعتراف المتبادل بتوازع مناطق النفوذ في المنطقة.

قد يقول قائل: هٰذا وهم أو خيال.

الوهم والخيال أن تطير فوق الواقع بما هو غير واقعي.

أرجو أن تقرؤوا الخريطة الحالية قراءةً جيدة.

ومن هٰذا الباب الإصرار الإيراني الروسي وحَتَّىٰ الدُّولي علىٰ إشراك إيران في جنيف الأزمة السُّورية.

لماذا تشارك وبأيِّ صفةٍ لولا هٰذا التَّصور الإيراني؟

كتبت في ٢/١١/٢٠١٣م تعليقاً على هٰذا الإصرار: لا مانع من مشاركة إيران في جنيف٢. فالحقيقة التي يجب أن نعترف بها هي أنَّ النِّظام وإيران طرفٌ واحدٌ في المعركة ضدَّ الشَّعب السُّوري والثَّورة السُّوريَّة، ومن الخطأ القول إنَّ إيران شريكٌ في المعركة، وكل التصريحات والحقائق والمعطيات تؤكِّد هٰذه الحقيقة... ولذٰلك لا مانع من أن تكون إيران طرفاً في المفاوضات، ولٰكن إما أن تكون إيران أو أن يكون النِّظام في جنيف، ومن غير الإنصاف أن يكونا معاً. ومع ذٰلكَ أنْ تدخل إيران طرفاً في الحوار والتَّفاوض بَيْنَ النظام المعارضة فهٰذا ما يحتاج إلىٰ توضيحٍ. وأما أن تحضر إيران جنيف علىٰ أساس أن تتعشى وتمشي مثل بقية المدعوين، ويتركون النظام والمعارضة للتحاور فهو أمر يمكن أن يُستوعب أو يتم تقبله بصيغةٍ أو بأُخْرَىٰ، علىٰ الرَّغْمِ من عبثية هٰذا المشروع... هٰذا إذا انعقد جنيف أصلاً. ففي ظلِّ كلِّ المتوافر من المعطيات حَتَّىٰ الآن، وحَتَّىٰ إذا ضاعفنا ما فيها من محاسن مرتين وثلاث بل عشر مرات، أعني كل ما يمكن أن يظن أنَّهُ محاسن، فإنَّ المؤتمر لن يعقد. وإذا عقد فلن يكون إلا عبثاً وهدراً للوقت وقتلاً للأرواح.

يستحقُّ جنيف أن نطيل الوقوف عنده لأنَّهُ مفتاحٌ لدخول إيران إلىٰ تحقيق مشروعها وطموحها الإمبراطوري، فهو مصيري لإيران أكثر مما هو مصيري لسوريا الثَّورة أو النِّظام. وحَتَّىٰ يتمَّ الوصل جيِّداً بَيْنَ مستقبل سوريا ومستقبل إيران كان الخيط جنيف ذاتها، جنيف الحل الإيراني وجنيف الحل السُّوري. وهٰذا ما يكشف لنا عن سبب الغياب المفاجئ المؤقت لإيراني عن التَّصريحات بالشَّأن السُّوري.

منذ أكثر من عشر سنوات ونحن نسمع كلَّ شهرٍ أو شهرين قول أمريكا وصحبها: «أمام إيران الفرصة الأخيرة ويجب استغلالها في الملف النووي!!!»، بينما لم يحظ العراق بفرصةٍ واحدةٍ أبداً من هٰذا المجتمع الدولي.

وبعد عشر سنوات من قول المجتمع الغربي: أمام إيران فرصةٌ تاريخيَّة لتسوية الملف النووي!!! إيران اليوم صارت تقول: أمام المجتمع الدولي فرصة تاريخيَّةٌ لتسوية الملف النووي الإيراني!!! هٰذا التَّصريح كان يوم السبت ٢٠١٣/١١/٩م.

فماذا حدث؟

أظنُّ وظنِّي لي أنا وحدي أنَّ إيران أنهت أزمة برنامجها النووي مقابل أن تبقى في سوريا. هٰذا يقتضي برمجة الحسابات ضمن أطر جديدة. وعلىٰ أيِّ حالٍ لا أظنُّ أنَّ أزمة البرنامج النَّووي الإيراني قد انتهت، وإنَّ ما حدث الآن ليس إلا مناورةً إيرانيَّة لتحقيق مكسبٍ مؤقَّتٍ في الوضع السُّوري، وسرعان ما ستعود أزمة البرنامج النَّووي الإيراني من جديد.

أصلا الاتفاق الذي سيعلن عنه في المؤتمر بعد قليل اتفاقٌ غريب يقول مثلاً: تَمَّ الاعتراف ببرنامج إيران في التَّخصيب ولم يتم الاعتراف بحقِّها في التَّخصيب.

أقول بعد قليل لأنَّ هٰذا المقال مجموع تعليقات متتابعة لعلاقة إيران بالثَّورة السُّورية ومستقبلها في المنطقة.

انتهى التَّفاوض وبدأت التَّسريبات والتَّصريحات: هل انتهى الملف النووي الإيراني؟

هل كان من الضَّروري أن يعلن وزير الخارجيَّة الأمريكي بعد دقائق من توافق إيران مع المجتمع الدولي أنَّ إسرائيل باتت الآن بأمان أكثر بموجب هٰذا الاتفاق، ثمَّ يتلوه الرئيس الأمريكي ذاته بمؤتمر صحافيٍّ خاص يعلن فيه أنَّ إسرائيل الآن بأمان كبير بسبب هٰذا الاتفاق؟؟؟

ثمَّة سرٌّ لا بُدَّ أنَّهُ موجود.

إنَّ تصريح أكبر رأسين في أكبر دولة في العالم هٰذا التَّصريح السَّريع جدًّا يوحي للبشرية جمعاء وكأن كل هٰذا التَّفاوض والصراع كان من أجل إسرائيل وليس من أجل المعايير الدوليَّة والقوانين الدوليَّة والاتفاقيات الدوليَّة... يوحي بأنَّ دول العالم العظمى كلها خدماً لإسرائيل فقط .

الأمر في حقيقته ليس كذٰلكَ أبداً.

إسرائيل وجدت لتخدمهم وليس ليخدموها، وخدمتهم لها هي خدمة لأنفسهم لا أكثر. ومن هٰذا الباب لا مانع من القول إنَّهُم يخدمون إسرائيل.

ولٰكن أن يعلن كيري وأوباما هٰذا الإعلان بهٰذه السُّرعة يجعل من المجتمع الدولي أضحوكة، اللهم إلا إذا كان وراء الأكمة ما وراءها. فما الذي يمكن أن يكون وراء الأكمة؟

إنَّ التسـريبات الـتي وصـلت إلينـا للمفاوضـات الأمريكيَّـة الإيرانيَّـة علىٰ مـدار الأشـهر الثمانيـة الماضـية يـوحي بـأنَّ هٰـذا التَّصـريح جـاء للفـت النَّظـر عـن توافقـات ضـمنيَّة بَـيْنَ إيـران وأمريكـا حـول النفـوذ الإيـراني في المنطقـة ولا شـكَّ في أنَّ الملـف السُّـوري بينهـا. وحَـتَّىٰ لا يلتـف المحللـون إلىٰ مـا قـد كـان سـرًّا أوحـوا بـأنَّ الهـدف حمايـة إسـرائيل مـن النـووي الإيـراني المحتمل.

لقد تمت حماية إسرائيل ولٰكن ليس من إيران. فإيران لن تكون عدوًّا لإسرائيل، حماية إسرائيل ستكون من خلال الدور الإيراني الجديد في المنطقة.

قد يرى بعضهم ذٰلك بعيداً.

لا بأس.

لن يكون ذٰلكَ ضاراً.

لننتظر التطورات علىٰ السَّاحة السُّوريَّة خلال الأيام القريبة، وعلىٰ ساحة المنطقة خلال الأشهر القادمة.

لن تتأخر البوادر التي ستجعلنا نقترب أكثر من مضامين المفاوضات السِّرية بَيْنَ إيران وأمريكا.

علىٰ أيِّ حال يجب أن ندرك جيِّداً أنَّ ما سمي نهاية أزمة الملف النووي الإيراني ليس إلا وهماً تآمر عليه الجميع، تآمر الجميع علىٰ إظهار هٰذا الوهم علىٰ أنَّهُ حقيقة. لم يحدث أيُّ توافق حاسمٍ علىٰ الإطلاق، كل ما كان نقاط اتفاق سرابيَّة، غامضة، هي نفسها التي تمَّ التوافق عليها منذ أكثر من خمس سنوات. فلماذا سمي هٰذا نهاية أزمة الملف النووي الإيراني، ولم يكن كذٰلكَ منذ نحو خمس سنوات.

المسؤولون الأمريكيون شنوا جملة كبيرةً علىٰ إدارة الرئيس أوباما التي وافقت علىٰ خروج إيران منتصرة وتحقيق مطالبها المرفوضة منذ عشر سنوات. وإيران أعلنت أنَّهَا خرجت منتصرةً. والحقيقة أنَّ إيران هي التي خرجت منتصرةً بالأحوال كلها.

انتصار إيران يكمن في أنَّهَا لم تقدِّم أيَّ تنازلٍ حاسمٍ، وأبقت الأمور معلقة، وعلَّقت الملف والخلاف بضع أشهر ترفع فيها القيود والحصار وتتفرغ للملف السُّورية علىٰ نحوٍ خاصٍّ وإعادة ترتيب أوراقها في المنطقة ريثما يتم حسم الملف السُّوري ومعرفة مصير النِّظام، وعلىٰ ضوء مصير النِّظام السُّوري يكون مخططها للمرحلة التالية.

وعلىٰ أيِّ حال، لا يمكن أن نفهم ما يمكن أن تؤول إليه الأمور إلا إذا أدركنا أمرين:

الأول أنَّ الدهاء الإيراني في السِّياسة عريقٌ وخطيرٌ. ولا يجوز أن يستهان به بحال من الأحوال.

الثاني أنَّ من يظنُّ أن إيران تعادي إسرائيل وأمريكا أكثر من العرب فهو واهم.

وعلىٰ ضوء هاتين النقطتين، وفي سياقهما يجب أن نفهم بنية المفاوضات الأمريكيَّة الإيرانيَّة. علىٰ اعتبار الولايات المتحدة الشرطي العالمي الأول إلىٰ الآن.

هل انتهى الأمر هنا؟

من المؤكَّد أنَّهُ لم ينته ولن ينتهي.

ذكرنا في سياق التّعليقات السابقة من هٰذا المقال أنَّ الوثيقة التي قدمتها إيران لأمريكا من أجل التفاهمات القادمة تتضمن بنداً يقضي بالاعتراف المتبادل بتوازع مناطق النفوذ في المنطقة.

كان ذٰلكَ في شهر تشرين ٢٠١٣م علىٰ أقرب تقدير. أي إنَّ إيران بدأت تتصرف علىٰ أساس أنَّها دولة عظمى تناطح أمريكا منذ نصف سنة. وذكرنا أنَّ أحد الأسباب غالباً هو حسمها ملفها النووي واقترابها من تصنيع النووي مهما كانت نتائج مفاوضاتها النَّووية مع أوروبا وأمريكا. وإيران لا تخفي ذٰلكَ؛ لا تخفي مطامعها في المنطقة، ولا تنفي تدخلها في دول المنطقة. فهي صارت تعلن بصراحة أنَّ الشَّاطئ الغربي من الخليج العربيِّ كلِّه فارسي، وأنَّ العراق جزءٌ من إيران، وأنَّ سوريا محافظة إيرانيَّة... صفاقةٌ غير محدودةٍ.

تحاول أن ترقِّع هٰذه التَّصريحات بَيْنَ الحين والحين ولٰكنَّ التَّصريحات تتفلت من المسؤولين والمثقفين الإيرانيين عفو الخاطر. من آخر هٰذه التَّصريحات تصريح أستاذ العلوم السِّياسيَّة الإيراني فؤاد يزدي على قناة الجزيرة مساء ٢٠١٣/١٢/١٢م. قال في سياق الكلام: نحن مع حكومة ديمقراطية، ولن نسمح بقيام حكومة موالية لإسرائيل ولا تدعم المقاومة. طبعاً هٰذا الكلام صفيقٌ صفاقةً غير محدودةٍ لأنَّهُ يرى أنَّ الشَّعب السُّوري السني يقف مع إسرائيل ويعادي للمقاومة. في حين أنَّ الحقيقة هي أنَّ إيران والنَّظام هما من يساند إسرائيل وإسرائيل تساندهم.

علىٰ أيِّ حال، لم يرق المذيعة الجواب فسألته: بأي حقٍّ تفرض إيران علىٰ سوريا حكومة مواليةً أو غير مواليةٍ لإسرائيل؟

فقال: إنَّ إيران ستعمل علىٰ التَّأكد في سوريا وأيِّ بلد من بلدان المنطقة أنَّهُ لن يقوم فيها حكومة موالية لإسرائيل وأمريكا.

هنا مربط الفرس.

إيران تعلن وصايتها علىٰ المنطقة العربية كلِّها وليس علىٰ سوريا فقط. لقد قطعت شوطاً بالغاً في ذٰلكَ. فكثيرٌ من أنظمة المنطقة العربيَّة الآسيوية خاصَّة حكومات صفوية بامتياز. ولذٰلك بدأت هٰذا المقال بقولي: يخطئ من يظن أنَّ إيران غير قادرةٍ علىٰ التهام كلِّ دول الخليج العربي خلال أيام قليلةٍ من أجل فرض تسوياتٍ جديدةٍ.

ويخطئ من يظن أنَّ إيران لا تفكر في ذٰلكَ تفكيراً جديًّا.

ويخطئ من يظن أن دول الخليج العربي اتخذت أيَّ احتياط لمثل هٰذا التهديد المحتمل بشدة.

ويخطئ من يظن أو يعتقد أنَّ الفرصة المتاحة الآن أمام دول الخليج لاتخاذ الاحتياطات ستبقى كثيراً.

وأكبر خطيئة ترتكبها دول الخليج الميمونة هي أن تظن أن الولايات المتحدة ستدافع عنها مثلما دافعت عن الكويت يوماً ما.

لا يفتأ المثقفون العرب ومن ورائهم سياسيون وإعلاميون عن مهاجمة إيران وفضح مطامعها في السيطرة على المنطقة العربية، ولكن قليلاً ما كلَّفوا أنفسهم عناء النظر إلى أبعد من أنوفهم قليلاً، لينظروا إلى حقيقة أن من حقِّ إيران أن تبني أمجادها وأن تطمع في تحقيق ذٰلكَ... ولٰكن ماذا فعلنا نحن العرب كي لا نكون الأسماك الصَّغيرة الدسمة التي يتلتهمها هذا القرش؟

من آفات الأنظمة العربية أنها ذكية أكثر من اللازم بكثير.

ومـن معـا لم هـذا الـذكاء الفـائض عـن الحاجـة أنهـم أوكلـوا أمـر وضـع حـد لتعـاظم القـوة الإيرانيـة، والحـد مـن نفوذهـا في المنطقـة العربيـة إلى الولايـات المتحدة الأمريكية.

فهل سيحق لهم الاعتراض إذا توافقت أمريكا وإيران علىٰ تقاسم المنطقة بطريقة جديدة؟؟؟



الفصل السابع

وفي مصر غليان

من الصُّعوبة القول إنَّ الثَّورة المصريَّة اندلعت
بدافع أو حماسة من نجاح الانتفاضة التونسية التي
أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي
بسرعة يقول بعضهم إنها قياسيَّة[٣٧].

الشَّرارة كانت تونس، ولٰكنَّ الشَّحن موجودٌ في مصر وفي الدول العربيَّة كلِّها، ورُبَّما من دون استثناء. اندلعت الثورة المصرية ضدَّ حسني مبارك في ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١م. وعَلىٰ نحوٍ غير متوقَّع سقط نظام حسني مبارك خلال ثمانية عشر يوماً. لم يصدق المصريون ذٰلكَ، وكثيرون لم يصدقوا هٰذا السُّقوط السَّريع لأبرز أعمدة أمريكا وإسرائيل في المنطقة. وتعالت صيحات المصريين بأنَّ ثورتهم أعظم ثورة. لم يدركوا ما حِيك لهم في ليل مبهم. وعاشوا مخدوعين فيما حيك لهم، وأصروا عَلىٰ أن يظلوا مخدوعين عَلىٰ رغم وضوح الحقيقة[٣٨].

سقط حسني مبارك، فيما يفترض، وحدثت انتخابات، خمس استحقاقات انتخابية فاز بها الأخوان المسلمون كلها. وصار رئيس الجمهورية من الأخوان المسلمين هو الرئيس محمد مرسي. ولٰكنَّ مرسي لم يصمد. تم الانقلاب عليه وعزله واعتقاله وحبسه ومحاكمته عَلىٰ مسلسل اتهامات بدأ ولن ينتهي.

(**٣٧**) . هذا الفصل مجتزءات من الفصل الرابع من كتابي: رئيس وأربعة فراعين الذي صدر منذ أشهر عن دار العالم العربي.

(**٣٨**) . لا نريد أن نتبسط هنا في توصيف ما حدث في تونس وحتى مصر إن كان ثورة أم انتفاضة، فتلك مسألة تستحق وقفة خاصة وربما مطولة، قد نعود إليها في غير هذا المكان.

لماذا تَمَّ الانقلاب عليه وعزله؟

قبل الدخول في تحليل الحدث، سأبدأ من بداهاتٍ مليئةٍ بالسُّخرية تداولتها صفحات التواصل الاجتماعي تحت عنوان: «رئيس غير صالح للرئاسة»، وتحت عنوان: «مثل هٰذا الرئيس لا يناسب عالمنا العربي يجب عزله وقد تَمَّ عزله». أمَّا لماذا فلأنَّهُ:

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ وعربيٍّ منتخبٌ انتخاباً فعليًّا.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ مدنيٍّ.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ دكتوراه.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ موكبه لا يعطِّل حركة المشاة والمرور.

أوَّلُ رئيسٍ مصريٍّ ابنه يحصل عَلىٰ أقلِّ من ٩٠ بالمئة في نتائج الثانوية العامة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يأتي بنسبة أقل من ٩٥ بالمئة.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ مدنيٍّ ينقلب عَلىٰ العسكر.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ حافظ للقرآن.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ ينتمي إلى تيَّارٍ إسلاميٍّ.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ حاصل عَلىٰ شهادة دراسيَّة عليا حقيقيَّة من الخارج.

أوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسمح لوسائل الإعلام المختلفة بانتقاده، وقد كان الإعلاميون الذي انتقدوه عَلىٰ درجة أوقح من الوقاحة وقلة الأدب وحَتَّىٰ السفاهة[٣٩].

---

(٣٩) . تبين لاحقاً أن هؤلاء جميعاً كانوا مأجورين للنظام القديم والمخطط الانقلابي الذي كان جاهزاً قبل نجاح مرسي فيما لو فاز الأخوان.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يرفع قضايا نظاميَّة ضدَّ خصومه ولا يدكُّ بهم في السجون من دون تحقيق أو تهمة.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسلِّم عَلىٰ الضَّابط الذي سجنه ولا يعاقبه.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يرسب في عهده ابن مدير الكليَّة الحربيَّة في اختبار تقديم الضباط.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يمنع تعليق صوره في مؤسَّسات الدولة.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يصلي كلَّ جمعة في مسجد جامع[٤٠].

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ لا تتعطَّل حركة السَّير من أجل أن يصلِّي في الجامع[٤١].

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسكن في شقة إيجار في عمارة سكنية.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يسافر أهله عَلىٰ نفقته بالدرجة السياحية[٤٢].

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يرفض علاج أخته بالخارج عَلىٰ نفقة الدولة.

أَوَّلُ رئيسٍ عَرَبِيٍّ يشتغل ابنه بالخارج مثل أي مواطن[٤٣].

---

(٤٠) . قادة العرب كلهم من دون استثناء لا يعرفون من الصلوات إلا صلاة العيدين.

(٤١) . من شاهد موكب حسني مبارك الذي يبلغ آلاف السيارات لدى تنقله يدرك معى هذا الكلام. عندما كان يصلي مبارك صلاة الجمعة كان أكثر من ثلاثة ملايين مصري يفقدون القدرة عَلىٰ صلاة الجمعة بسبب قطع الطرقات ومنع الحركة، من يتذكر ذَٰلكَ يدرك معنى هٰذا الكلام، وكَذَٰلكَ شأن مواكب قادة العرب كلهم تقريباً.

(٤٢) . عَلىٰ الرغم من ذلك فإن وسائل الإعلام المصرية قلبت هذه الحقيقة زعمت أن مرسي حجز طائرة كاملة عَلىٰ حساب الدولة من أجل سفر عائلته إلى الغردقة، وأنه حجز فندقاً كاملاً من أجلهم عَلىٰ حساب الدولة وهٰذا كذب أيضاً... وأن الموسم السياحي قد تأثر بسبب هٰذه الرحلة الاستجمامية لمدة أيام.... عَلىٰ أساس أن مبارك لم يكن يحجز كل أسطول الطيران وكل الفنادق المحيطة بمكان إقامته.

(٤٣) . ابنه طبيب يعمل في السعودية، وظل يعمل فيها ولم يعد مصر ليستثمر كون أبيه صار رئيساً.

لذلك كله، كما يعلق بعضهم ساخراً، لم يصمد محمد مرسي أمام حركة الجماهير التي لم تستطع الانسجام معه، ولم تستطع تقبله. وخلال أيَّام إن لم يكن ساعات انقلب الرأي العام عليه وعَلىٰ كلٍّ من نظر إليه باحترام. وكان الانقلاب الذي سموه لفترة ثورةً ثانيةً، وسموه استكمالاً للثورة... ثُمَّ لم تعد ثورة، ولم تكن في مصر قبلها ثورة وإنما كان حركة دنيئة ومؤامرة من الأخوان أطاحت بالدَّولة التي كان يرأسها حسني مبارك، وقد السيسي أعاد الأمور إلى نصابها.

ثلاث دول عربيَّة في السَّاعات الأولى من الانقلاب تبرَّعت له باثني عشر مليار دولار دعماً واضحاً صريحاً للانقلاب. لا أحد يجهل أنَّ هٰذه الدول هي السعودية والإمارات والكويت. وحسبنا أنَّ زعماء دولٍ زاروا مصر وباركوا الانقلاب وكانوا مقاطعين لمصر منذ انتصار الثورة، ولا أحد يجهل أنَّ ملك الأردن ومحمود عباس عَلىٰ رأسهم وأسرعهم في ذَلكَ... أي إنَّهم باركوا إسقاط أول شرعية ديمقراطية في مصر وفي العالم العربي. هٰذا ليس كلاماً يقال وتنتهي الأمور بقوله، إِنَّهُ تعبير عن الواقع العربي المأزوم(٤٤).

قال السيسي غير مرَّة، وكرَّر أبواق الانقلاب أكثر من مرَّةٍ: «الأخوان استخدموا الديمقراطية للوصول إلىٰ الحكم».

غريب!! الديقراطية بالعادة تستخدم لتقشير الثوم والحفر عَلىٰ الخشب، فلماذا هٰذا الغباء من الأخوان؟ أيجعلون الديمقراطية أداة للوصول إلى الحكم؟

يا عيب (الشوم)؟

هل يوجد أكثر من هٰذا العبط والهبل والغباء؟

(٤٤) . راجع كتابي: انهيار النظام العربي، الصادر بالتزامن مع هذا الكتاب.

هل يوجد أكثر من ذَلكَ اعتداءً عَلىٰ الديمقراطيَّة؟

الأخوان الإرهابيون استخدموا الديمقراطيَّة للوصول للحكم. أمَّا السيسي الوطني الحر فقد استخدم الدبابة والرصاص الحيَّ ضدَّ العزَّل ليصل إلىٰ الحكم!!!!

إنَّ الانقلاب انقلابٌ الإسلام والإسلاميين وليس عَلىٰ حكم الأخوان لا عَلىٰ شخص محمد مرسي. هٰذا الانقلاب عَلىٰ حكم الأخوان سابقٌ عَلىٰ فوزهم وليس لاحقاً عليه. هٰذا ما حدث بالضَّبط. بعض الدول العربية كانت حاضرةً بقوَّةٍ في هٰذا المخطَّط، لا ندري مدى حضور أمريكا غير أنَّ وزير الدِّفاع الأمريكي روبرت جيتس هي أنَّهُ «تلقى مكالماتٍ شخصيَّة من عدد من زعماء دولٍ خليجيَّةٍ، وضغوطهم المبكرة لمنع الإطاحة بنظام مبارك، والحيلولة دون وصول الإسلاميين للحكم»[٤٥].

من غير المتوقع أبداً أن لا تكون إسرائيل حاضرةً عَلىٰ الخطِّ السَّاخن من أجل الغرض ذاته، فقد أضاف جيتس في كتابه: الواجب، أنَّهُ «تواصلت رنَّات تليفونات البيت الأبيض من تل أبيب طالبةً من الرئيس الأمريكي التَّمهل والوقوف بجانب حاكم مصر». ويقول إنَّ نتنياهو قال لأحد مستشاري أوباما: «لا أعتقد أنَّ الرئيس أوباما يعرف ما ينتظره»، وأكَّد نتنياهو لأوباما «ضرورة الوقوف مع مبارك مهما حدث»[٤٦].

(٤٥) . مفكرة الإسلام: **تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين** . موقع مفكرة الإسلام . السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م.

(٤٦) . المصدر السابق . ذاته.

هٰـذا يعـني أنَّ أنظمـة عربيَّـة وإسـرائيل وأمريكـا كـانوا حاضـرين في مشـهد خطـف الثَّـورة المصـريَّة والانقضـاض عليهـا والـتَّربص المناسـب لأيِّ تـداعيات غـير مقبولـة، وعَلـىٰ رأس هٰـذه التَّـداعيات ورُبَّمـا وحـدها هـو فـوز الإسـلاميين بالسـلطة وفي مصـر الأخـوان تحديـداً كـونهم القـوة الإسـلامية الأبـرز. وأكـرِّر هنـا لـيس الخـوف مـن الإسـلاميين كـونهم عنصـريين أو فاشـيين أو إقصـائيين أو مـا إلىٰ هنـاك مـن اتهامـات وادعـاءات وإنَّمـا خوفـاً من نجاحهم شبه المؤكَّد إن لم يكن مؤكَّداً.

الخيوط كلها كانت محبوكة بدقَّةٍ بالغةٍ في نظري. والذين يظنون أنَّ إدارة أوباما كانت مُحْرَجَةً أو لا تعرف ماذا تفعل في وقوفها مع الثورة مخطئون. لقد ذكر روبرت جيتس في كتابه أنَّ «أوباما لم يرغب في إهانة حليفٍ رئيسٍ وتاريخيٍّ للولايات المتحدة؛ لما في هٰذه الخطوة من رسالةٍ سلبيةٍ لحلفاء واشنطن»[٤٧]، وعنىٰ بذٰلكَ حسني مبارك. وهو لم يقصر في حمايته وضمان سلامته.

نجح حزب الحرية والعدالة في الانتخابات البرلمانيَّة والانتخابات الرئاسيَّة. ولٰكنَّ مفاصل السُّلطة كلها كانت بيد نظام حسني مبارك. ذهب حسني مبارك وبقي كلُّ شيءٍ كما هو. ولذٰلك لم ينجح أبداً محمد مرسي في إدارة شؤون الدولة، لأنَّهُ لم يكن يتحكَّم بشيءٍ أبداً من أمور الدولة. لقد أعلن أحد ضيوف الاتجاه المعاكس في منتصف عام ٢٠١٣م تقريباً أنَّ محمد مرسي لم يكن يتحكَّم بأكثر من حرسه الشَّخصي. وبعد الانقلاب بنحو ثلاثة أشهر صرَّح وزير الداخليَّة في حكومته وحكومة السيسي أنَّهُ رفض أوامر محمد مرسي بتأمين

---

(٤٧) . مفكرة الإسلام: **تفاصيل الضغوط الخليجية لمنع سقوط نظام مبارك تخوفًا من الإسلاميين** . موقع مفكرة الإسلام. السبت ١٨ يناير ٢٠١٤م.

الحماية للمحافظين. ولا نعدُّ ولا نحصي لأنَّهُ بالكاد يمكن أن تجد مؤسسة أو إدارة متعاونة مع رئاسة محمد مرسي... لقد كان واضحاً بعد أقلِّ من شهرين أنَّ هناك مساعٍ مخطَّطةٍ مبرمجةٍ لإسقاط حكم محمد مرسي تتصاعد رويداً رويداً...

كانت كلُّ مؤسَّسات الدَّولة تقف عائقاً أمام النَّجاح في أيِّ بندٍ من بنود الخطة، ناهيكم عن أنَّها تحتاج فترةً رئاسيَّة كاملةً في أقل تقدير[٤٨]. إلىٰ جانب الاعترافات الصَّريحة فيما بعد، لدينا عَلىٰ أرض الواقع الشَّواهد الفعليَّة عَلىٰ ذَلكَ. ومن الاعترافات الصريحة بأنَّ الدَّولة كلَّها كانت تقف ضدَّ مرسي، وتعمل عَلىٰ إخفاقه، وعدم السماح له بالنجاح اعتراف اللواء ثروت جودة؛ وكيل جهاز المخابرات العامة السَّابق، بأنَّ الجهاز لم يمد الرئيس محمد مرسي بأيِّ معلومةٍ واحدةٍ صحيحةٍ طوال فترة حكمه. وتابع كيل المخابرات السَّابق في حوار مع الوطن قائلاً: «المخابرات العامة المصرية لم تعط شيئًا حقيقيًّا لمرسي قولًا واحدًا فاصلًا»[٤٩].

وكان قبله وزير الداخلية المصري اللواء محمد إبراهيم صرح بمثل ذَلكَ وأخطر أكثر من مرَّة، منها مثلاً قوله، في آذار ٢٠١٤م، في لقاء تلفزيونيٍّ بأنَّ مرسي طلب اعتقال الإعلاميين، عَلىٰ حد زعمه إعلاميين من دون تحديد، وقال ولٰكنَّني رفضت، وأمرت بحماية كلَّ من يحمل بطاقة تمرد[٥٠]!!!

---

(٤٨) . لقد ورث الرئيس مرسي تركة ستين عاماً من الفساد وتأصيل الفساد واستشرائه في كل بنى الدولة.

(٤٩) . نقلاً عن مفكرة الإسلام: **وكيل المخابرات السابق: هكذا تآمرنا عَلىٰ مرسي لإسقاطه** . الأربعاء الأربعاء ١٧ أيلول / سبتمبر ٢٠١٤م.

(٥٠) . قال ذَلكَ في لقاء أجراه معه الصحافي مصطفى بكري في برنامج حقائق وأسرار يوم الجمعة ١٤ آذار/ مارس ٢٠١٤م.

وأخيراً كان الانقلاب باسم تلبية مطالب الجماهير. وكان اعتقال كل أعلام الأخوان وأنصار الأخوان وأنصار أنصار الأخوان، وإغلاق كل المحطات التلفزيونية التي يمكن أن تتعاطف مع الأخوان في السَّاعة الأولى من الانقلاب... ثمَّ حملة شيطنة الأخوان إلى حدِّ عدهم شعباً آخر، بل وصل الأمر ببعضهم إلى عدهم أجانب، دخلاء عَلىٰ الوطن!! حملة الشيطنة وحدها كافية لتأجيج مصر والعالم العربي، لأنها مورست بطريقة أبشع من البشعة، ليس لأن الأخوان ملائكة، ولٰكنَّ لأنَّ النظظام المصري مارس أبشع السبل والوسائل التحريضية وأرخصها ضد الإسلام والإسلاميين. وقد أعلن أمين الجامعة العربية نبيل العربي في مطالع عام ٢٠١٤م بكلِّ صراحةٍ ووضوحٍ لا يفترق عن الوقاحة قائلاً: «إن حركة ثلاثين حزيران/يونيو (أي الانقلاب) ضربت في الصَّميم المشروع الإسلامي»[٥١]. وفوق ذٰلكَ انغمس الانقلاب في خدمة إسرائيل والسعي لإرضائها بطريقة تقصم ظهر القيم والأخلاق والوجدان والكرامة. وإلىٰ جانب ذٰلكَ قام عبد الفتاح السيسي وحده بالانقلاب بعد سلسلة مفضوحةٍ من الإجراءات والتحريض والتخطيط. المأساة أنَّها مفضوحة بطريقة فجة؛ من حشود وهمية مفبركة بيد المخرج السينمائي خالد يوسف، إلىٰ الأعداد الوهمية، إلىٰ المطالب الوهمية، والمشكلات الوهمية... ولأنَّ كلَّ شيء كان مفضوحاً بفجاجة، والباطل عار دائماً كان لا بُدَّ من مسلسل من التناقضات والأخطاء الفاضحة أكثر فأكثر.

(**٥١**) . جاء هٰذا الكلام في لقاء تلفزيوني منشور عَلىٰ اليوتيوب نشرات كثيرة عنوانها الأغلب: نبيل العربي يعترف ٣٠ يونيو ضرب المشروع الإسلامي بالصميم، أول نشر في ٢٠١٣/١/٤م.

نحن في حقيقة الأمر أمام الانعطافة السيسية في تاريخ السياسة اللاسياسية، كما سَمَّيْتُ ذَلكَ في هٰذا المقال(٥٢) الذي كتبته في ٢٠١٣/١٢/٢٦م. الانقلاب السيسي انعطافة في التاريخ المصري والمنطقة. فالانقلاب السيسي عَلىٰ أقل تقدير يفعل ما تخشى إسرائيل فعله.

كيف يمكن أن تستقر الأمور في مصر والسيسي لم يكتف بعد الأخوان إرهابيين بل اعتبر كلَّ من يمدح الأخوان أو يدافع عن الأخوان أو يروج للأخوان أو يحمل أفكار الأخوان... تمادٍ في الاستبداد غير معقول، لم يعرفه نظام قمعي من قبل في التاريخ كله. والتَّمادي الأكبر من ذَلكَ حَتَّىٰ الشَّطط المثير للاشمئزاز فهو أنَّ سلطة الانقلاب ستطلب من كلِّ دول العالم تسليمها أي مصري يشعر بالتعاطف مع الأخوان... حَتَّىٰ الذين يظهرون عَلىٰ تلفزيون الجزيرة ستطالب بهم السلطة الانقلابيَّة، وستمارس ضغوطها عَلىٰ المجتمع الدولي لمحاصرة قطر اقتصاديًّا إذا لم تسلمها ضيوف قناة الجزيرة الذين يمدحون الأخوان. أي إن المفكرين والإعلاميين والأدباء هم موضوع الاتهام بالإرهاب؛ المفكر الذي سيكون له موقف إيجابي من الأخوان سيكون إرهابيًّا.

مظاهر الاستبداد تجاوزت كل الحدود، والطريف المضحك المبكي أنَّ الناطق باسم الجيش المصري سوَّغ نشر عشرات آلاف المقاتلين في الشوارع إلىٰ جانب آلاف الشرطة بأنه من أجل إشعار المواطن بالأمن(٥٣). كل البشرية تشعر بالهلع من انتشار الجيش إلا المصريين فإنهم لا يشعرون بالأمان إلا بانتشار الجيش!!

(**٥٢**) . بدءاً من هٰذه الفقرة وصولاً إلى نهاية الموضوع وبداية الموضوع الجديد.

(**٥٣**) .كان هٰذا التصريح في ٢٠١٣/١١/١٦م.

السيسي أعاد حصار غزة أكثر بألف مرَّةٍ مما كان أيام حسني باراك تحت ذريعة تعاطفهم مع الأخوان، لا شكَّ في أنَّهُ يريد أن يقدِّم لإسرائيل الخدمات التي تعطيهم الطمأنية من جانبه، ويؤمن أمن إسرائيل أكثر مما تحلم به إسرائيل.

السيسي انعطافةٌ كبرى في تاريخ السياسة؛ الانعطافة السيسية. سيتحدَّث التاريخ عن سلوكات السيسي التي لم يسبق لها نظير من أشد الديكتاتوريات في التاريخ. الديكتاتورية ليست قتل الناس فقط. قتل الناس وحشية، الديكتاتورية هي الاستبداد والتفرد في السلطة، والسيسي يتفرَّد بها الآن عَلىٰ نحو رُبَّما لا أقول إنه غير مسبوق ولٰكنَّ أقول فجٌّ بطريقة مثيرة ومرعبة... وإذا كانت هٰذه البوادر فالقادم أعظم...

سينجح السيسي في تدمير القيم والأخلاق أكثر مما نجح السابقون. وسينجح في محاربة الإسلام والمسلمين أكثر مما فعل الكافرون. وسينجح في حماية إسرائيل أكثر مما فعل الإسرائيليون.

كل ذٰلكَ يزيد في غليان حمم البركان الذي تجثو عليه المنطقة العربية عامة.

لا تتوقف الاستفزازات السيسية عند حد. القضاء المصري السيسي يحاكم محمد مرسي محاكمات سريالية هستيرية، رئيس جمهورية يحاكم بتهمة التَّواصل مع دولة قطر وقناة الجزيرة!!! تخيلوا يا راعكم الله أن يحاكم رئيس جمهورية بتهمة التواصل مع دولة أُخْرَىٰ. والأطرف والأعجب والأغرب من ذٰلكَ عَلىٰ الإطلاق محاكمته بتهمة التخابر مع حماس. التخابر مع حماس تهمة، في حين يكافئ من يتخابر مع الموساد وإسرائيل!!!

أن يحاكم الرئيس من المنقلب عليه بتهمة التخابر والتجسس لصالح أعداء إسرائيل يعني بداهة أن خدمة إسرائيل... تجلى ذٰلكَ في كثيرٍ وكثيرٍ جدًّا من

الأمور والسلوكات والممارسات التي يصعب حصرها. اعترف إعلام السيسي مثلاً عَلىٰ قنوات التلفزيون المصرية في ٢٠١٤/٧/٣م «أنَّ أكبر إنجاز للسيسي هو القضاء المبرم عَلىٰ أنفاق غزة». ولا نتحدث عن الحصار الخانق الذي فاق كل متوقع أو مقبول أو معقول. في عدوان تموز ٢٠١٤م الصهيوني عَلىٰ غزة الذي بدأ في ٢٠١٤/٧/٨م، برزت مواقف مصرية يتبرأ العار منها، وإبليس يعوذ بالله منها وفي من التفاصيل ما تدمى له العيون والقلوب والعقول[٥٤]. لعَلَّ من أبشعها جملة الإعلام السيسي المنادية بدعم الجيش الإسرائيلي في العدوان علىٰ الفلسطينيين وتدمير غزة علىٰ أهلها.

إن ما نادت به وسائل الإعلام المصرية، وما قاله فنانون سيسيون ومواطنون سيسيون يضع العقل في الكف، إنه هستريا حقيقية، إنَّهُ كابوسٌ حقيقيٌّ سيظلُّ يقلق منامات شرفاء العرب عشرات السنين. رُبَّما لا تكون ردود الأفعال مباشرة ولَكنَّها لا يمكن أن تزول من الوجدان المصري والعربي، ولا يمكن إلا أن تكون وقود حمم البركان الذي يتأهب للانفجار.

ولا يقف الأمر، في ٢٠١٤/١١/١٠م نشرت مواقع التواصل الاجتماعي الخبر بتمهيد يقول: «السيسي يلغي التربية الدينية»، «السيسي يقول: تدني الأخلاق والتحرش بالنساء في مصر سببها التربية الدينة...!!!!!». تبيَّن أن الخبر صحيح. وأخيراً، ألغت وزارة التربية والتعليم المصرية مادة التربية الإسلامية، وأصدرت بدلاً منها كتاب (القيم والأخلاق) لاعتماده رسميًّا في المنهج التربوي في جميع مراحل التعليم بدءاً من بداية العام الدراسي المقبل ٢٠١٤م/٢٠١٥م.

(**٥٤**) . راجع تفاصيل ذَلكَ في كتابي: رئيس وأربعة فراعين. م. س.

بل حَتّىٰ القصص الدينية التي يمكن أن توجد في مقررات أخرى تَمَّ الإجهاز عليها وحذفها، فقد أعلن المتحدث الإعلامي باسم وزارة التربية والتعليم في النِّظام السيسي أنَّ «الوزارة قررت إلغاء جميع القصص المقررة في المراحل التعليميَّة بما فيها قصص مادة التربية الدينية الإسلاميَّة الموجودة في المراحل التعليمية المختلفة».

والتَّفسير مهلك من الضَّحك، فقد فسَّرت الحكومة المصريَّة هٰذا القرار «بأنَّهُ نتيجةٌ لما أصبح عليه الشَّارع المصري من تدني للأخلاق وتزايد لظاهرة التَّحرُّش بالنِّساء!!!». لأوَّل مرة في تاريخ البشرية وجد من يقول إنَّ التَّربية الدِّينيَّة هي سبب تدني الأخلاق وتزايد ظاهرة التحرش بالنساء.

وفوق ذٰلكَ كله باع السيسي ثروات مصر وكرامتها لإسرائيل، بل وهبها إياها من دون ذمن، بل وسيتشتري منها ثروات مصر!!! فضيحة الغاز الجديدة وحدها نكتة النكت، وأعجوبة الأعاجيب. ذكرنا في الحديث عن حسني مبارك فضية الغاز التي ما أنزل الله بها من سلطان. اتفاقية الغاز المصرية الإسرائيلية التي تصدر مصر بموجبها الغازل إلىٰ إسرائيل بأقل من سعر تكلفة الإنتاج بسبع أضعاف تقريباً.

مع السيسي ننتقل إلىٰ خطوة أكثر تقدُّماً من ذٰلكَ كلِّه. السيسي تنازل عن حقول الغاز المصرية، وسيشتري الغاز المصري من إسرائيل بسعر السوق!!!

دعونا نقترب من الخاتمة بهٰذه المقارنات السريعة بَيْنَ مرسي والسيسي التي تداولتها وغيرها مواقع التواصل الاجتماعي:

أيام محمد مرسي تحدث الإعلام المصري (فلول حسني مبارك)، عن سدِّ النهضة فصوروا الموضوع وكأنَّ السَّدَّ قد تَمَّ بناؤه وانتهى، وأنَّ مصر ستموت من

العطش وأنَّ محمد مرسي هو السَّبب... وفجأة عندما نجح الانقلاب السيسي فإنَّ الإعلاميين أنفسهم صوروا أنَّ المشاركة في بناء سد النهضة واجب وطني وديني وأخلاقي... ما هٰذا؟

أيام محمد مرسي صوروا مشروع تنمية قناة السويس الذي طرحه محمد مرسي عَلىٰ أنَّهُ مؤامرة لبيع مصر ورهنها للخارج... وفجأة عندما نجح الانقلاب صور الإعلاميون والسياسيون أنفسهم مشروع تنمية قناة السويس الذي هو مشروع محمد مرسي بأنَّهُ مشروع قوميٌّ ونهبوا الشَّعب المصري من أجل البدء بالمشروع... وهيهات يكتمل... ونهبوا أموال الشعب المصري باسم هٰذا المشروع.

أيام محمد مرسي صوروا السيسي عَلىٰ أنَّهُ من أقطاب الأخوان وهاجموا محمد مرسي عَلىٰ تعيينه. وعندما قام السيسي بالانقلاب الإعلاميون والسياسيون أنفسهم صوروا السيسي عَلىٰ أنَّهُ جمال عبد الناصر... وقد صدقوا في ذٰلكَ.

أيام محمد مرسي كانت تنقطع الكهرباء نصف ساعة أو ساعة فتثور الجماهير ووسائل الإعلام وتتهم محمد مرسي شخصيًّا وتطالب بمحاسبته شخصيًّا... بعد الانقلاب صارت تنقطع الكهرباء ساعات يوميًّا فيقول الإعلاميون أنفسم: من لا يعجبه فليغادر مصر، من أراد أن يعيش في مصر عليه أن يتحمل... بل إنَّ بعضهم ذهب إلىٰ اتهام محمد مرسي أيضاً بافتعال الأزمة وهو وكل قادة الأخوان في الزنازين من أول يوم في الانقلاب!!!

عندما بدأت بوادر أزمة الكهرباء في مصر طرح مرسي مشروع بناء محطات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية بحيث تكفي مصر وتصدر الكهرباء،

وعندما استلم السيسي قال: «أنا لن أقول لك لا تشعلوا اللمبات... أقول لكم لو كل واحد بَدَّلَ اللمبات العادية بلمبات توفير فكم سنوفر من الكهرباء يا ترى؟!».

وماذا بعد؟

لا يمكن لمثل هٰذا الوضع أن يستقر. أكرر ثانية: قد لا تكون ردة فعل الشعب المصرية مباشرة، ولٰكنَّ ما حدث ويحدث كله شحن وضغط سيجعل مصر تنفجر في وجه كل هٰذا التراكم. مصر كغيرها علىٰ فوهة البركان.



الفصل الثامن

الدولة الإسلامية تقلب الموازين

داعش هو اللقب التقزيمي أو التحقيري الذي أطلقه ناشطون سوريون علىٰ تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام قبل أن يعلن هٰذا التنظيم الخلافة الإسلامية، أطلق هٰذا الاسم عندما تم اتخاذ القرار بمحاربة هٰذا التنظيم، رُبَّما ضمن مشروع بعيد المدى، رُبَّما ورُبَّما(٥٥)...

قبل خوض غمار بعض التفاصيل لا بُدَّ من الإشارة إلىٰ أنَّ تنظيم الدولة الإسلامية قلب الطاولة علىٰ الجميع، وقلب الموازين والمعادلات كلها في المنطقة وحَتَّىٰ في العالم. وإعلان الخلافة الإسلامية مع ما تلاه مما سنبينه ومن غيره مما بينا في غير هٰذا المكان قد وضع العالم الإسلامي والعالم العربي، والمجتمع البشري أمام تحديات كبرى ستؤدِّي إلىٰ مواجهات كبرى بدأت في حقيقة الأمر، بل ستكون عاملاً أساسيًّا من عومل تأجيج حمم البركان الذي تغلي في أتونه المنطقة.

داعش حُوْرِبَتْ في البداية بزعم أنَّها عميلةٌ للنِّظام السُّوري، وأنَّها مخابراتٌ أسديَّةٌ. ولٰكنَّ كلَّ الحقائق تنفي هٰذا الادعاء وتدحضه، وتواترت الانتقادات من هٰذا الجانب حَتَّىٰ لم يعد يستطع محاربو داعش القول إنَّهم يحاربونها لأنَّها عميلةٌ

(٥٥) . هٰذا الفصل هو مجتزءات من ثلاثة فصول من كتابي: الحرب علىٰ الدولة الإسلامية الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب، يمكن الرجو للكتاب لمزيد من التفاصيل والمعطيات والمناقشات.

للنِّظام السُّوري. ولٰكن لأنَّهم يريدون أن يحاربوها مهما كلَّف الثَّمن وتحت أيِّ ذريعةٍ تحوَّلت الجريمةُ الدَّاعشيَّة من كونها عميلةً للنِّظام السُّوري إلىٰ أنَّها خوارج، وراحوا يستخرجون من الأحاديث النَّبويَّة ما يوجب قتالها وقتلها وذبحها والقضاء عليها[٥٦]...

هٰذا الحقد الأعمى أوصل الأمور إلىٰ تناقضاتٍ لا يمكن تصديقها فداعش مُحَاربةٌ من أطرافٍ متصارعةٍ مع بعضها أبرزها: أمريكا، السعودية، روسيا، إيران، النظام العراقي، حزب الله، الثورة السورية، والنظام السوري نفسه، ومن المؤكَّد أنَّ إسرائيل طرفٌ من هٰذه الأطراف[٥٧]... ناهيكم عن تحالف دولي طويل عريض سنمر به بعد قليل.

كيف استقرت كلُّ هٰذه التَّناقضات في سلَّةٍ في واحدةٍ؟

كيف استوى أنَّ كلَّ هٰذه الأطراف المتناقضة المتصارعة... متوافقةٌ علىٰ محاربة داعش؟؟؟

لا يمكن أبداً قبول أنَّ الجميع علىٰ صواب، ولا يمكن أبداً قبول أنْ ليس هناك فريقٌ أو أكثر لا يعرف ماذا يفعل... ومن المؤكَّد تماماً أن أكثرهم يعرفون ماذا يفعلون، وأنَّ الصِّراع مع داعش ليس أبداً حرصاً

---

(٥٦) . مع تصاعد الأحداث لاحقاً ثبت بالمطلق أنَّه لا يمكن أن تكون الدولة الإسلامية عميلة للنظام ولا لإيران فصاروا يقولون إنها عميلة لأمريكا لتشويه الإسلام، ثمَّ لما شنت أمريكا الحرب عليها عادوا للقول بأنها عميلة للنظام.. وظلت الاتهامات تدور من النظام إلىٰ إيران إلىٰ إسرائيل إلى خوارج.

(٥٧) . تبين لاحقاً أنَّ إسرائيل شريك في الحرب بل إن جل المخاوف الأمريكية هي من وصول داعش إلىٰ حدود إسرائيل.

علىٰ الإسـلام[٥٨]، ولا لأنَّ داعـش عمـلاء للنِّظـام، وإنَّمـا لمصـالح متضـرِّرةٍ في أحسنِ حسن الظنِّ.

أنا لا أدافع عن داعش، ولا عن أيِّ خطأ ارتكبته أو ترتكبه داعش. ولٰكن لا يمكن أبداً أبداً أبداً أن أرى هٰذه التَّناقضات الصَّارخة وأستطيع السُّكوت. لا أقول ذٰلكَ لأقنع أحداً، لأنَّ أحداً لن يقتنع إذا كان الغشاء علىٰ عينية وقلبه أسمك من خُرْجِ الحمار. لا أريد أن أقنع أحداً لأنَّ الحقيقة أوضح من أن يكلِّف أحدٌ نفسه عناء توضيحها، ومن ثَمَّ فإنَّ من لا يريد أن يراها لا يمكن أن يرها ولو اجتمع الإنس والجن علىٰ إقناعه. لا أريد أن أتحدث عن الفبركات والتَّزوير وحرف الحقائق عن طبائعها لأنَّ من يقوم بهٰذا التَّزوير كمن يفتري علىٰ الله الكذب وهو يعلم، فكيف يمكن إقناعه[٥٩]؟؟

في ١٩/١١/٢٠١٤م مجلـس الأمـن في حالـة اجتمـاع اسـتنفارية، منـذ الظَّهـر حَـتَّىٰ المسـاء وهـو مجتمـع مـن دون لمناقشـة مخـاوفهم مـن الإرهـاب، والتَّخطـيط لمواجهـة الإرهـاب... وهـو الدولـة الإسـلامية فقـط...

---

(٥٨) . سنشاهد لاحقاً كيف أن الغرب قاد الحرب علىٰ الدولة الإسلامية تحت شعار الخوف علىٰ الإسلام من تشويه داعش، حرصاً علىٰ الإسلام من ممارسات داعش التي تسيء للإسلام... وهٰذا أعجب أعاجيب العصر.

(٥٩) . اتهمت الدولـة الإسـلامية بكثير من الجرائم البشعة تبين لاحقاً أنَّها لا علاقة لها بها؛ تفجيرات، قتـل، اغتيـالات وغير ذٰلـكَ كثير... وإلىٰ جانـب ذٰلـكَ لفقـت لهـا الكثير مـن الصـور والممارسـات مع صـور تبـين أنَّهـا كلهـا ملفقـة ومـزورة لأحـداث قـام بهـا خصـومهم أو غـيرهم أو مجتـزأة مـن أفـلام سـينمائية... وعلـىٰ الـرَّغْمِ مـن كشـف كـل هٰـذه الحقـائق اسـتمرت الحـرب الإعلاميـة علـىٰ الدولـة الإسـلامية، واسـتمر التلفيـق... سـيقول قائـل ولٰكنَّهَـا ارتكبـت جـرائم بشـعة. لا بـأس، لا اعـتراض علىٰ ذٰلكَ، ولٰكن لماذا الفبركات والافتراءات؟

علىٰ مدار المداخلات كلها وجدنا أنَّ الإرهاب هو الدولة الإسلامية فقط، بل لا إرهاب سوى الدولة الإسلامية. داعش هي الإرهاب الوحيد في الوجود السعيد.

في هٰذا الاجتماع طرائف لا يمكن أن تمر مروراً عابراً. أضحكني مندوب فرنسا في مجلس الأمن حَتَّىٰ ضحكت من ضحكي، قال:

. علىٰ العالم أجمع أن يتَّحد لمحاربة مجموعات داعش الجبانة!!!

يا قووووووة الله

إذا كانت مجموعات داعش جبانة لماذا تريد من العالم كله أن يتكاتف لمحاربتها؟؟!!

يعني لو كانت شجاعةً هل كنت طلبت مؤازرة من المريخ والكواكب السَّيارة الأُخْرَىٰ!!!

أما المندوب الأمريكي فقد وأضحكني أكثر. بدأ كلامه بمجلس الأمن بقوله:

. إنَّ داعش لا تهدِّد الأمن العالمي فقط!!!!

الله أكبر والعزة لله!!!

وماذا يمكن أن تهدِّد داعش أكثر من الأمن العالمي؟؟؟

أيعقل هٰذا المستوى من الهستريا الذي وصلته أمريكا حَتَّىٰ تتوهم أنَّ داعش تهدِّد أمن مجرَّةِ درب التَّبانة كلها؟!!

الذي يبدو حَتَّىٰ الآن هو أنَّ داعش دعشت العقل العالمي وأدخلته في حالة هستيريَّة ولوثة وتوتر وتشنج وإسهال وإقياء وبعض أعراض الحمل الأُخْرَىٰ...

هٰذا ما بدا من حال مندوبي مجلس الأمن. هم مجتمعون اجتماعاً متواصلاً منذ أكثر من ست ساعات يتكلمون بسرعةٍ وتوترٍ وتشنجٍ وتهديدٍ وتخطيطٍ لو عمل به لكفى لاحتلال المجرة المجاورة لمجرة درب التَّبانة خلال أيامٍ قليلةٍ... كلُّهم طالب بتكاتف المجتمع الدُّولي كلِّه، والتَّخطيط والعمل المشترك العسكري والسِّياسي والتَّاريخي والجغرافي والثقافي والمعرفي والنَّفسي والتربوي والاستخباراتي والإلكتروني والإنترنتي والمالي والاقتصادي والتِّجاري والإعلامي والتلفزيوني والسينمائي والسيميولوجي والكوسمولوجي والعنترولجي والبلطماطولوجي.... من أجل محاربة داعش!!!

داعش لحست عقل البشريَّة جمعاء، داعش هي الوحيدة التي ترعب العالم رعباً لا يصدق. كلُّ العالم مجمع علىٰ كلِّ ما سبق لمحاربة داعش. لم أبالغ في سرد ديباجة المطالب، إنَّها ما كرَّرها الجميع رُبَّما من دون استثناء.

لنفترض جدلاً أن داعش إرهابيَّة. ولٰكن هل وحدها الإرهابيَّة؟

لنفترض جدلاً أنَّ داعش متطرِّفة. ولٰكن هل وحدها المتطرِّفة؟

هٰذه ليست ازدواجيَّة يا سادة. هٰذه وقاحة لا حدود لها.

من أيِّ كوكب جاءت من أيِّ مريخ؟

الاتحاد الأوروبي في اجتماع للبحث في سبل مواجهة داعش

الموساد الإسرائيلي في حالة انعقاد منذ أسوعين لمواجهة داعش

الولايات المتحدة كلها مستنفرةٌ منذ شهر لبحث سبل مواجهة داعش

أمريكا وإيران والسُّعودية تعاونوا علىٰ الإطاحة بالمالكي لمواجهة داعش

السُّعودية تموِّل أيَّ دولةٍ أو جماعة تقاتل داعش

دول العالم تتسابق لتمويل وتسليح من يقاتل داعش

جهود دوليَّة مكثفة لتوحيد جيشي النِّظام والحر لمواجهة داعش

الأمم المتحدة في حالة قلق مزمن وانفلونزة توترية بسبب تقدم داعش

النظام السوري يسعى حثيثاً لإرضاء الجيش الحر للوقوف بوجه داعش

إيران تقول أصبحت حدودنا غير آمنة بسبب اقتراب داعش منها

مشايخ مسلمين والأخوان المسلمين: داعش خوارج العصر

المسيحيون: لا يمكن أن نعود أهل ذمة بحكم داعش

روسيا بنت الشيوعية أول من حارب داعش

الناس كلها تسأل: من هي داعش؟

من أيِّ كوكب جاءت؟

من أيِّ مريخ؟

حقيقة إنَّهُ لأمرٌ يضع العقل في الكف، ويجعل الحليم حيراناً، والحكيم (طفشانا). من هٰذه الداعش التي اجتمعت علىٰ معاداتها ومحاربتها أمم الأرض قاطبةً، وأديان الأرض قاطبةً بمن فيهم المسلمون، وملاحدة الأرض جميعاً؟

هل هي غزو فضائي للأرض كما تصوِّر أفلام الخيال العلمي الهوليودي؟

صحيحٌ أنَّهُ كان ثَمَّة توافقٌ ضمنيٌّ إبان الحرب الباردة بأنَّ الإسلام هو العدو الحقيقي للطرفين: الغرب المسيحي والشَّرق الشِّيوعي. ولٰكن لم يكن ثَمَّة إجماعٌ كما نرى اليوم علىٰ محاربة خمسة آلاف بني آدم أو عشرة آلاف بني آدم!!

أيعقل أنَّ البشريَّة كلَّها تجتمع لمحاربة عشرة آلاف بني آدم؟

إيَّـاكم أن تتخيلـوا أنَّ هٰـذه مبالغـة، ارجعـوا لوسـائل الإعـلام وتـابعوا ســتجدون أن هٰـذه الصـورة أقـلُّ مـن أن تعـبِّر عـن حقيقـة التَّوافـق العـالمي علىٰ محاربة داعش.

ولٰكن لا نستطيع إلا أن نسأل:

هل هؤلاء العشرة آلاف قادرون علىٰ تهديد أمن العالم كله؟

شي لا يصدق!!!

سبعة مليارت بني آدم، في آلاف الدُّول والقوى العظمى ترقص هلعاً أمام عشرة آلاف[٦٠] يسيطرون علىٰ بقعةٍ صغيرةٍ من الأرض، من أرضهم وليست من أرض أي دولة أُخْرَىٰ!!!

يبدو أنَّ العالم يرى أنَّ هؤلاء العشرة آلاف يهدِّدون العالم بأسره فعلاً. وإلا لما اجتمعوا عليهم بهٰذه الطَّريقة. أرجو أن لا يقول أحدٌ: هٰذه مبالغة. كلُّ المحطَّات تنقل ذٰلكَ تباعاً بما فيها المحطَّات التي تريد أن تخفي هٰذا التكالب لتمرير أكذوبة أنَّ داعش عميلةٌ للنِّظام السُّوري أو العراقي أو الأمريكي أو الإيراني...

ولٰكن لماذا يرتجف العالم من داعش؟

هل بسبب وحشيتهم في قطع الرؤوس؟

هٰذا هراء وافتراء لأنهم أرحم من النِّظام السُّوري، وأرحم من النِّظام العراقيِّ، وأرحم من مسيحيي أفريقيا الوسطى، وأرحم من بوذيي بورما مع

---

(٦٠) . لا يزيد عدد أفراد الدولة الإسلامية في أكثر التقديرات عن خمسة وعشرين ألف فرد، حسب تقديرات مخابرات غربية متعددة متعاونة علىٰ ذلك.

الروهينجيا ...والسِّلسلة أطول من ذٰلكَ[٦١]. إنَّ قطع الرؤوس الذي قام به الداعشيون . ولا أدافع عن ذٰلكَ . لا يمكن أبداً أبداً أبداً أن يقارن بما قام به جنود الأسد في سوريا، أو جنود المالكي في العراق أو البوذيون في بورما أو المسيحيون بحقِّ المسلمين في أفريقيا الوسطى... فلماذا كان فعل الداعشيين جريمة يجتمع عليها العالم ولم العالم ذاته لم يحرِّك ساكناً في كلِّ الحالات الأُخْرَىٰ؟؟

قال جون كيري في ٢٠١٤/٩/٩م: علىٰ كلِّ دول في العالم (كل دولة في العالم) أن يكون لها دورٌ في القضاء علىٰ الدَّوْلَة الإسلاميَّة... بالمال، بالسِّلاح، بالرِّجال، بالإغاثة... وكاد يقول: ومن لم يستطع شيئاً من ذٰلكَ فعليه بالدُّعاء وهو أضعف الإيمان. ولولاء الخوف من السخرية لقال: وسنركِّب حساسات مراقبة لمعرفة من لا يريد أن يشارك في هٰذه الحرب.

هٰذه هي فكرة قريش ذاتها في قتل الرسول إذ جمعت من كلِّ قبيلةٍ رجلاً حَتَّىٰ يضيع دم الرسول بَيْنَ قبائل العرب ولا يُطَالبَ أحدٌ بدمه.... وقريش اليوم أيضاً هي صاحبة الفكرة وليست أمريكا. ناهيكم عن جورج بوش الأب وقف مثل هٰذا الموقف في حربه علىٰ دولة الخلافة الإسلامية في طالبان عندما أعلن بوضوح: من لم يقف معنا في حربنا فهو ضدنا... وأعلن في الخطاب ذاته: إنَّهَا الحرب الصليبية الجديدة.

ولٰكن يا ترى، إذا نظرنا في هٰذا الإجماع العالمي ذاته، بَيْنَ الأديان والقوميات والشُّعُوب التي كلها متناقضة مع بعضها ورُبَّما متحاربة...

---

(٦١) . ستمر مثل هٰذه المقارنات معنا لاحقاً، وقد أوردنا مزيداً من المقارنات في كتابنا: العالم في مواجهة الإسلام الذي يصدر بالتزامن مع هٰذا الكتاب.

أليس فيه ما يقود إلىٰ ردة فعل عند الشُّعُوب الإسلاميَّة، وحَتَّىٰ عند كثيرٍ من الشُّعُوب التي ستفكِّر بهدوء... تؤدِّي إلىٰ ولادة جيل أكثر تعصُّباً وأكثر تطرفاً من شباب الدَّوْلَة الإسلاميَّة التي اجتمع عليها العالم في تحالف غير مسبوق عبر التاريخ.

لا مبالغة أبداً في ذلكَ. إنَّهُ تحالفٌ غيرُ مسبوقٍ في التَّاريخ. التَّحالف الدولي الرَّاهن ضدَّ الدَّوْلَة الإسلاميَّة يضمُّ حَتَّىٰ الآن أربعين دولةً[٦٢] مؤكَّدةً بَيْنَها معظم الدول العربيَّة[٦٣]. وكيري يطالب كلَّ دولةٍ في العالم بأن يكون لها دور.

حسناً لنترك تصريح كيري. يكفينا الأربعين دولة. تحالف الأربعين دولة هو أكبر من تحالفات الحربين العالميتين بكلِّ تأكيد. أكبر من التَّحالف الدُّولي مع أمريكا للثَّأر من طالبان إثر اتِّهام القاعدة الجائر بأحداث الحادي عشر من أيلول. هٰذا التَّحالف اليوم ضدَّ الدَّوْلَة الإسلاميَّة داعش أكبر من التَّحالف الدُّولي لتحرير الكويت والعدوان الأوَّل علىٰ العراق. هٰذا التَّحالف الدولي اليوم أكبر من التَّحالف الدولي لاحتلال العراق... وقبل هٰذه التحالفات لم يعرف التاريخ تحالفات بمثل أقل أقلها أضعافاً.

قد يعترض بعضهم بأنَّ حجم الحرب علىٰ الدُّولة الإسلاميَّة أقل من الحروب السَّابقة. هٰذا غير صحيحٍ. طبيعة الحروب هي التي تغيرت

---

(٦٢) . وصل عدد الدول المشاركة في التحالف بعد كتابة هٰذا المقال بفترة قصرة إلىٰ اثنتين وستين دولة حسب تصريحات جون كيري ووسائل الإعلام العربية والعالمية.

(٦٣) . اكتشفنا لاحقاً أنَّ الدول العربية هي الفاعل الأساسي والحقيقي في القصف بينما دور طيران التحالف المساندة العلوية والخلفية والإمداديَّة لا أكثر.

من زمن إلى زمن، وطبيعة العدو المشترك لهؤلاء طبيعة مختلفة. وطبيعة الأسلحة مختلفة... كلُّ ذٰلكَ تبعاً للتَّطور الحاصل في كلِّ شيءٍ: السِّلاح، الإعلام، الاقتصاد... وغير ذٰلكَ مما يقود في المحصلة إلىٰ أنَّ أربعين دولة متحالفة للقضاء علىٰ الدَّوْلَة الإسلاميَّة هو أكبر تحالف في التاريخ بكل صيغ التحالف وأنواعها. وهٰذا التَّحالف الدولي هو أكبر تحالف عبر التاريخ حَتَّىٰ هٰذه اللحظة بأمور أُخْرَىٰ جديدة غير مسبوقة في التاريخ هي الحرب الإعلامية، وتجفيف منابع الدعم المالي والفكري، والتخطيط لمسح فكر الدولة الإسلامية من الوجود وليس هزيمتها فقط. فإن كنت مخطئاً فأرجوا التَّصويب وتقديم المعلومة الصَّحيحة.

لن نتحدث عن الغباء العربي والإسلامي فهو مقرفٌ وغير محدودٍ. ولٰكن أذكر أنَّهُ ليس في هٰذا الحشد ما هو مستغربٌ من أمريكا أو الغرب. لقد قالها باراك أوباما صراحة: «لن نسمح بقيام الدَّوْلَة الإسلاميَّة». قالها بهٰذا النَّص وحرفيًّا في خطاب له إثر سيطرة الدَّوْلَة الإسلاميَّة علىٰ مناطق واسعةٍ من العراق وإعلان الخلافة الإسلاميَّة وتغيير اسم الدَّوْلَة من دولة الإسلام في العراق والشام إلى الدَّوْلَة الإسلاميَّة. ومنذ ما قبل ذٰلكَ الحين والغرف الاستخباراتية تعمل علىٰ قَدَمٍ وساقٍ للقضاء علىٰ الدَّوْلَة الإسلاميَّة. ولٰكن بعد التَّجارب القاسية لأمريكاً في حروبها في المنطقة قررت أن تفكر مليًّا في الحروب الجديدة. فكانت النتيجة كما أعلنها أوباما وكيري وغيرهم من كبار المسؤولين الأمريكان هي أن أفضل وطريقة للقضاء على الدَّوْلَة الإسلاميَّة هي أن يحاربها المسلمون (السُّنَّة) أنفسهم، وقد صدر غير تصريح يقول: لا

يمكــن القضــاء علــىٰ الدَّوْلَــة الإســلاميَّة إلا بــالإعلام... يجــب نزعهــا مــن صــدور المســلمين، يجــب تشــويهها في نفــوس المســلمين، وهٰــذا مــا تمَّ برعايــة سوريَّةٍ خاصَّــةً لأنَّ ســوريا هــي الــتي شــوَّهت الدَّوْلَــة الإســلاميَّة منــذ أكثــر مــن ســنة، وتكــرَّس كثــيراً في نفــوس السُّــوريين أن داعــش هــي السُّــوء عينــه ولــو حــرَّرت بيــت المقــدس، ولــو رفعــت رايــة الإســلام فــوق البيــت الأبــيض. كــان هٰــذا بعــد سلســلة اتهامــات متتاليــة تغــير بتغــير انفضــاح الاتهــام مــن عميلــة للنظــام إلىٰ عميلــة لإيــران إلىٰ عميلــة لأمريكــا إلىٰ عميلــة لإســرائيل وأخــيراً الخــوارج... الخــوارج الــذين يريــدون تشــويه الإســلام... وتخيلــوا كيــف أنَّ أمريكــا تحشــد أربعــين دولــة لمحاربــة الخــوارج الــذين يريــدون تشــويه الإســلام. أمريكا تريد محاربة من يشوه الإسلام... يا سلام.

أيُّ حمق هٰذا وأيُّ غباء؟!

بل إنَّ جون كيري في خطاب اليوم ذاته قال: «نريد أن نحارب هٰذه الجماعة لأنَّهَا تشوِّه أكثر الأديان سِلميَّة». والطَّريف كذٰلكَ في الأمر أنَّ زعماء العالم المسيحي في هٰذه الفترة يشنُّون حملةً بعنوان: «لا يجوز الرَّبط بَيْنَ الإرهاب والإسلام». كل زعماء الغرب لا ينسون هٰذه العبارة في خطاباتهم في هٰذه الأيام.

الحملة في وقتها المناسب واللازم. كلَّما شنَّ الغرب حملةً علىٰ الإسلام ترافقت الحملة مع حملة تصريحات تمدح الإسلام، وتعلن أنَّهُ لا يجوز الرَّبط بَيْنَ الإسلام والإرهاب.

هم يريدون إقناع المسلمين بأنَّ القضاء علىٰ الدَّوْلَة الإسلاميَّة ليس لأنَّ الإسلام إرهابيٌّ، بل لأن الدَّوْلَة الإسلاميَّة تشوِّه الإسلام.

طبعاً الشَّعب المسلم من دون هزٍّ ينام، لا يحتاج من يقنعه بالحملة، لأنَّهُ تقريباً مشارك فيها عن بكرة أبيه وأبيها.

هٰذه كلها قليل من تفاصيل كثيرة. ولادة الدولة الإسلامية وضعت الأنظمة العربية والمجتمع الدولي أمام تحديات ومخاطر كثيرة. إن تركت تتمدد قلبت الموازين، وإن حربت، والحرب قائمة، انقلبت الموازين. مثلما كنا نقول لن تكون المنطقة بعد الثَّورة السُّوريَّة كما كانت قبل الثورة، نقول الآن: لن تكون المنطقة بعد الآن مثلما كانت قبل وجود الدولة الإسلاميَّة.



الفصل التاسع

أسلمة الصراع والتمدد الإيراني

ينقسم هٰذه المقال في حقيقة الأمر إلىٰ مقالين أولهما كتب ونشر في ٢٠١٤/٩/١٦م تحت عنوان: لماذا لا يريدون إشراك إيران؟، والقسم الثاني كتب ونشر بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٨م تحت عنوان: التمنع الإيراني الكاذب.

إيران لم تتلق أيَّ طلبٍ للمشاركة في التَّحالف الدولي ضدَّ الدَّولة الإسلاميَّة. ولٰكنَّ إيران تعلن رفضها المشاركة في هٰذا الحلف من جهة أولى، وتستفز أمريكا للمضي في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة من جهة أُخْرَىٰ. فهذا خامنئي أمس يستفزَّ الغرب من أجل عدم التَّراجع عن ضرب الدَّولة الإسلامية، قال إنَّهُ: «يشكُّ في جديَّة الغرب في القضاء علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة».

قال ذَلكَ لأنَّهُ فيما يبدو استشعر أنَّ الغرب أدرك عواقب التَّورط في استعداء المسلمين (السنة يعني)، وهٰذا ما حاولت الصحافة البريطانية تبيانة علىٰ مدار الأيام الثَّلاثة الماضية، التي أدركت خطورة هٰذه الورطة التي وقع فيها الغرب بمحاربة الدَّولة الإسلاميَّة، وبعضهم وجه تحذيرات شديدة لأوباما من مخاطر هٰذا التَّورط.

لهٰذا تحديداً علىٰ الأقل لا تريد أمريكا والغرب ضمَّ إيران ولا النِّظام السُّوري إلىٰ الحلف؟

ولٰكـن قبـل الجـواب والتَّوضـيح يجـب أن نعلـم أنَّ إيـران مشـتركة في التَّحـالف، ومسـاهمة في محاربـة الدَّولـة الإسـلاميَّة أكثـر مـن غيرهـا بكثـيرٍ، وهـي أشـدُّ مـن يحـرص علىٰ القضـاء علىٰ الدَّولـة الإسـلاميَّة... رُبَّمـا يفـوق حرصُـها ذٰلـكَ حـرصَ الأنظمـة العربيَّـة. يعـني اعترفـت إيـران أم لم تعـترف هـي موجـودة بقـوَّة علـىٰ الأرض بمختلـف أنـواع الوجـود في محاربـة الدَّولـة الإسلاميَّة.

ولٰكن لماذا لا تريد أمريكا والغرب إشراك إيران ولا النِّظام السُّوري؟

لا يجوز القول إنَّها لا تريد إشراكهما وإنما يستحسن القول: لماذا لا تريد الإفصاح أو فضح مشاركتهما في التَّحالف والتَّنسيق معهما علىٰ الملأ؟

الحقيقة أنَّ أمريكا والغرب أدركوا الخطورة الشَّديدة من هٰذه الورطة في محاربة الدَّولة الإسلاميَّة، فهي تعلن بذٰلكَ أنَّهَا تحارب الإسلام (السنة) دون غيره، وبطريقةٍ مباشرةٍ ومقصودةٍ. غاضين الطَّرف عن جرائم الشِّيعة ضدَّ السُّنة في العراق وسوريا ولبنان وإيران.

لقد أدركت أنَّ إشراك إيران علناً في التَّحالف سيزيد أحقاد الإسلام (السنة) ويقلب كفَّة الموازين ضدَّهم، إن لم يكن اليوم علىٰ يد هٰذا الجيل الغائب عن الوعي فعلىٰ يد الجيل القادم، لأنَّ الحرب ستبدو ضدَّ السُّنَّة بوضوحٍ فاجر، وليست ضدَّ الإرهاب كما يزعمون، ولا ضدَّ الدولة الإسلاميَّة وحسب كما يزعمون.

الحقيقـة الـتي يجـب أن يـدركها الجميـع هـي أنَّ أمريكـا نسَّـقَتْ مـع إيـران علـىٰ كـلِّ الخطـوات في محاربـة الدَّولـة الإسـلاميَّة، ورسمـت إيـران لنفسـها دورهـا وقـدرتها علـىٰ الفعـل وأبلغـت الإدارة الأمريكيَّـة بنسـق ممـا سـتفعله،

وأمريكا موافقة علىٰ ذَلكَ، وراضية به ومسرورة، وستكشف الأيام القادمة هٰذه الحقيقة. وكل ما يقال عن عدم رغبة أمريكا بمشاركة إيران في التَّحالف، أو رفض إيران المشاركة في التَّحالف ليس إلا كذباً صريحاً خالصاً، ولَكنَّهُ كذب أحمق من الطَّرفين لأنَّ الحقائق علىٰ الأرض، والمعلنة سابقاً تثبت عكس ذَلكَ.

ينطبق الأمر نفسه علىٰ النِّظام السُّوري، وهنا صار من السَّهل أن نفهم المغازلة المضحكة بَيْنَ النِّظام السُّوري وأمريكا. فأمريكا تحذِّر النِّظام السُّوري من استهداف طائراتها إذا قصفت داعش في سوريا. وهي تعلم تمام العلم أنَّ النِّظام السُّوري أصلاً لن يرد ولا يمكن أن يرد.

ولٰكنَّ التَّصريح الأمريكي يقول بوضوح ومباشرة: نحن حريصون علىٰ الحفاظ علىٰ القوى العسكرية للنِّظام السُّوري، ولن نضربها، ولن نعطلها...

ولٰكنَّ الأمور علىٰ درجة من السُّخونة والتَّحدي والمصيريَّة ما يجعل ثَمَّة مستجدات كل يوم وكل ساعة. لم يتغيَّر شيءٌ في حقيقة الموقف، ولٰكنَّ معطيات جديدة تتكشف. والتَّناقضات في التَّصريحات الإيرانيَّة تجعلها مهزلةً. فقد صرَّح المرشد الأعلى خامنئي ولا أعرف كيف صرَّح وهو علىٰ فراش الموت أنَّ إيران تريد الاشتراك في التَّحالف، وكذَلكَ فعل رئيس الجمهورية روحاني. وكلاهما ومعهما قيادات الحرس الثَّوري الإيراني صرحَّوا بأنَّهُم لن يقبلوا بالمشاركة حَتَّىٰ ولو دعوا إلىٰ ذَلكَ.

استضافت قناة العربيَّة الحدث أمس ٢٠١٤/٩/١٧م المحلِّل السِّياسي الذي يعد يحكم الناطق باسم السلطة الإيرانية، أمير الموسوي وسألته عن سر

هٰذا التَّناقض، فقال: «ليس هناك تناقض. هناك سوء ترجمة كلامٌ وتصريحات عن الموقف الإيراني. إيران تقول: الضَّربات الجويَّة غير مجديةٍ، يجب أن يكون هناك اجتياح بري، وإيران مستعدَّة لذٰلك».

هٰذا هو التَّعبير الحقيقي، والصَّادق عن الموقف الإيراني. ويؤكِّد خطاب روحاني المطوَّل قبل أسبوع تقريباً أو أكثر قليلاً، إذا قال: «إنَّ محاربة الدَّولة الإسلاميَّة تحتاج إلىٰ تحالفٍ دوليٍّ كبيرٍ، وتنسيق جهود كبير». يعني ذٰلكَ بوضوحٍ وصراحةٍ ومباشرة أنَّ إيران تريد ضربةً ساحقةً ماحقةً ماحيةً للدولة الإسلاميَّة، وتريد أن تكون هي التي تجتاح وتحتل المناطق التي تسيطر عليها الدَّولة الإسلاميَّة، ويأتي اقتراحها هٰذا بناء على معطيات واقعيَّة تفرض ذاتها، وتجعل إيران هي الوحيدة تقريباً المؤهَّلة لهذه المهمَّة في ظلِّ هٰذه الظُّروف، وأبرز هٰذه المعطيات:

أولاً: استغلال حقيقة أنَّهُ لا يمكن حسم المعركة جوًّا، وأنَّ القصف الجويَّ مهما طال وكان فإنَّهُ لا يمكن أن يقضي علىٰ الدَّولة الإسلاميَّة. ولا بُدَّ من الاجتياح البريِّ لتطهير الأرض والقضاء علىٰ الوجود الفعلي للدَّولة الإسلاميَّة. وفي هٰذا التَّصور والتَّصوير ابتزازٌ لأمريكا والتَّحالف من جهةٍ، وتحريضٌ وتوضيحٌ للتَّحالف لما يجب أن يفعله بعد التَّركيز الكبير علىٰ أنَّ الحرب ستكون بالضَّربات الجويَّة فقط والاعتماد علىٰ الجيش العراقي والكردي فقط، وهما كلاهما عاجزٌ عن مواجهة الدَّولة الإسلاميَّة، وعاجزٌ عن حسم المعركة حَتَّى في ظلِّ الغطاء الجويِّ الغربيِّ.

ثانيـاً: أنَّـهُ لا يوجـد غيرهـا في الجـوار يسـتطيع القيـام بهٰـذه المهمـة، مـن ناحيـة عـدد الجنـد والكفـاءة العسـكريَّة والقتاليَّـة. لأنَّهَـا لا تريـد ولـن تسـمح

بـدخول الـدول العربيـة إلىٰ المنطقـة ولا تركيـا... تريـد أن تتفـرد هـي بالسِّـيادة عليها.

ثالثـاً: الغــرب كلُّــه رافــض تمامــاً للاشــتراك في أيِّ حــرب بريــة في المنطقــة، تخوفــاً مــن ذوق الــويلات الــتي مــا زال يتجرَّعهــا منــذ احــتلال أفغانستان.

رابعاً: عجز الدَّولة العربيَّة عن خوض هٰذه المعركة لأسباب أخلاقيَّة أمام شعوبها، خوفاً من تحريضها علىٰ التَّعاطف مع الدَّولة الإسلاميَّة، وخوفاً من انشقاق هٰذه الجيوش والتحاقها بالدَّولة الإسلاميَّة.

وبذلك تكون العراق كلها تحت السِّيادة الإيرانية، وهي أصلاً تحت سيطرتها، كونها تسيطر علىٰ المناطق الشِّيعيَّة وعلىٰ السُّلطة السِّياسيَّة. فإذا احتلت المناطق الأُخْرَىٰ فلن يستطيع أحدٌ إخراجها منها.

وبذلك يستتب الأمنُ وَفْقَ الرُّؤية الإيرانيَّة. يعني يصبح الهلال الشِّيعي الذي حذر منه الملك عبد الله منذ أكثر من عشر سنوات حقيقةً دامغةً مئة بالمئة.

إذن لا يوجد تمنُّعٌ ولا دلالٌ، وإنَّما المسألة توزيع أدوار في التَّصريحات بَيْنَ الإيران والأمريكان. فالتَّنسيق قائمٌ علىٰ قَدَمٍ وساقٍ... وقد أقرَّ الموسوي ذاته بوجود هٰذا التَّنسيق السِّري، ناهيكم عن الاعترافات الصَّريحة لمختلف القادة الإيرانيين بوجود قوَّاتهم ومليشياتهم علىٰ الأرض في مقاتلة الدَّولة الإسلاميَّة... فكيف لإيران هٰذا الوجود القوي والكبير علىٰ الأرض ما لم يكن هناك تنسيق مشترك علىٰ أعلىٰ المستويات؟

في هٰذا السياق، لم تستطع إيران إفاء بهجتها وفرجتها وسعادتها وسرورها بتمددها في العالم العربي. رُبَّما أعلنت ذٰلكَ لقطع دابر التدخل للحد من هيمنتها ونفوذها.

قال مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني، علي رضا زاكاني، المقرب من المرشد الإيراني علي خامنئي إنَّ ثلاث عواصم عربية أصبحت اليوم بيد إيران، وتابعة للثورة الإيرانية الإسلامية، مشيراً إلىٰ أن صنعاء أصبحت العاصمة العربية الرابعة التي في طريقها للالتحاق بالثورة الإيرانية.

وأضاف زاكاني خلال حديثه أمام أعضاء البرلمان الإيراني: إنَّ إيران تمر في هٰذه الأيام بمرحلة الجهاد الأكبر. ولذٰلك كما قال: هٰذه المرحلة تتطلب سياسة خاصة، وتعاملاً حذراً من الممكن أن يترتب عليه عواقب كثيرة.

وتابع زاكاني بأنه قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان هناك تياران أساسيان يشكلان المحور الأمريكي في المنطقة، هما الإسلام السعودي والعلمانية التركية، ولٰكن بعد نجاح الثورة الإيرانية تغيرت المعادلة السياسية في المنطقة لصالح إيران، ونحن اليوم في ذروة قوتنا نفرض إرادتنا ومصلحتنا الاستراتيجية علىٰ الجميع في المنطقة. وتابع بوضوح قائلاً: الشرق الأوسط يتجه الآن إلىٰ تشكيل قطبين أساسيين، الأول بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من العرب، والثاني بقيادة إيران والدول التي انخرطت في مشروع الثورة الإيرانية.

بعد التصريح بأن أربع عواصم عربية صارت تحت السيطرة الإيرانية لم يعد من الغريب القول أو التصريح بتدخل إيراني عسكري مباشر، واحتلال مباشر لهذه العواصم ودولها: العراق سوريا لبنان اليمن. لقد أقر هٰذا البرلماني بأنه لولا التدخل الإيراني لسقطت العراق بيد الدولة الإسلامية، ولولا التدخل الإيراني لسقط الأسد ونظامه بيد الشَّعب السُّوري الذي يسمونه تكفيري إرهابي مؤامرة دوليَّة... وكذل التمدد الحوثي في اليمن، والحزبلاتي في لبنان وهو أمر غير جديد. بل إنَّ مسؤوليين إيرانيين في عام ٢٠١٣م قالوا إن سوريا هي محافظة إيرانية، جزء من إيران، والعراق إذن بالضرورة صارت جزءاً من إيران، وهم يتعاملون معها كذلكَ منذ الاحتلال الأمريكي الذي سلم العراق لإيران.

الأنظمة العربي لم تصح فيما قبل ولن تصحو اليوم علىٰ وقع هٰذه الضربات الساحقة للتقدم الإيراني في بلاد الرافدين والخليج العربي. صحيح أنَّ قادة العرب لن يحركوا ساكناً، ولٰكنَّ الشعب العربي يتلقَّى الصَّدمات تلو الصَّدمات. الشَّعب العربي من دين قادته نعم. ولٰكنَّ القلة القليلة منهم فيها وجدان، هم من سيغير معالم الخريطة. الخريطة مائعةٌ تتحرك مثل الزئبق، ولا يمكن إلا أنَّ يعاد بناءِ المنطقة من جديد، علىٰ معطيات جديدة. يخال الكثيرون وهما أنَّها ستكون لصالح أبناء المنطقة. هٰذا وهم. الخريطة ستتغير، ولٰكن من يمسك القلم الذي يرسم الخريطة هو الذي يحدد كيف ستكون.

إذا لم يمسك العرب قلم الخريطة سيكونون خارج التاريخ، وخارج الجغرافيا. وأن تكون القلة التي فيها وجدان هي التي ستعيد رسم الخريطة

لا يغير في الواقع شيئاً ما لم يقف معهم من أبناء المنطقة ما يكفي لرسمها بما يخدم مصالح المنطقة.

نقطتان أختم بهما هنا. الأولى هي المساعي الأمريكية الواضحة الصرعية لإدخال المنطقة العربية والإسلامية في صراع إسلامي إسلامي، أي سني سني... يبدأ ولا يعني أمريكا متى ينتهي، فإذا انتهى الصراع السني السني كانت الشيعة الطرف الجديد في المعرطة والصراع. ولكن إيران لم تستطع الصبر، دخلت الصراع الطائفي وفرضت الصراع الطائفي على المنطقة. هي لا يعنيها سوى تأجيج الصراع لأنها تخطط أن تخرج النتصر الوحيد طالما أنها تقاتل المسلمين بالشيعة العرب ومن تستطيع جلبهم من مرتزقة في العالم تحت شعارات الحرب الدينية.



الفصل العاشر

جر تركيا إلى أتون الصراع

في بداية التَّحالف الدولي الذي دعا إليه العرب وقادته أمريكا لمحاربة الدَّولة الإسْلاميَّة، بل للقضاء علىٰ الدَّولة الإسْلاميَّة، لم تكن أمريكا مضطرة لاشتراك تركيا في الحلف.

كانت تظنُّ أنَّ الدُّول ستتهافت تهافت الذُّباب من أجل المشاركة في القضاء علىٰ الدَّولة الإسْلاميَّة، وأنَّ الدُّول الحليفة والمنافقة ستضع جيوشها تحت تصرُّف التَّحالف، كون الغرب وعلىٰ رأسه أمريكا لا يريدون دخول أيِّ معركةٍ بريَّةٍ في المنطقة لأسبابٍ كثيرةٍ تمَّ التَّفصيل فيها في حينها.

ولٰكن خطوةً خطوة، وبسرعة مرَّت الخطوات ووجدت أمريكا نفسها أمام نفور من الجميع من المشاركة إلا إيران والنِّظام السُّوري اللذان عرضا وتسابقا في عرض خدماتهما هٰذه. وهما تحديداً حسب النَّصائح التي رسى عليها الغرب لا يجوز أن يكون رأس حربة، ولا يجوز أن يكون اشتراكهما مع أمريكا ظاهراً للعيان، أو في التَّصريحات.

هنا لم تجد أمريكا والغرب بديلاً عن تركيا. وكان ما كان من مسلسل الإغراء والترغيب والترهيب والاستفزاز والأخذ والجذب والدَّفع والشَّد في التَّعامل مع تركيا من أجل الاشتراك في التَّحالف. هم يريدون من تركيا أن تقود المعركة البريَّة لا يريدون الاشتراك بالاسم فقط كما كانوا يناشدون دول العالم المختلفة من أجل زيادة العدد علىٰ عيون

الحاسدين. فتركيا مشتركة في التَّحالف بالاسم، ولكنَّهَا لم تقبل أن تشترك في المعركة البريَّة علىٰ الأقلِّ لأنَّهُ ليس في مصلحتها، ولذٰلك اشترطت علىٰ التَّحالف إسقاط نظام بشار الأسد ولٰكنَّ أمريكا رفضت ذٰلكَ رفضاً مطلقاً... فوصلت الأمور إلىٰ حالة الاستقطاب وبدا أنَّ الأمور لا تسير في الطَّريق المرضي لأمريكا والغرب.

هنا كان لا بُدَّ من تدخُّل الفيلسوف برنار هنري ليفي دينامو استراتيجيا السِّياسة الغربيَّة تجاه المنطقة العربيَّة والإسْلاميَّة تحديداً. كتب مقالاً عرفت به البشرية قبل أن ينشر. ونشرته الاثنين ١٣/١٠/٢٠١٤م بالتَّزامن معاً صحيفه ليبراسيون الفرنسية وسبع صحف أوروبيَّه وأمريكيَّه، في ظاهرة تكاد تكون غير مسبوقةٍ. عنوان المقال النِّداء الأخير من أجل كوباني.

أن يوجِّه نداء من أجل كوباني فهٰذا أمرٌ محمودٌ، وكثيرون وجهوا نداءات. ولٰكنَّ نداء الصهيوني المتشدِّد برنار هنري ليفي له نكهةٌ خاصَّةٌ، خاصَّةً وأنَّهُ بمنزلة صانع قرار، ومهندس قرار من جهة أولى، وطبيعة النِّداء الذي وجهه من جهة ثانية. ليفي في هٰذا النداء وجه تهديداً صريحاً وتاريخيًّا لتركيا بطردها من حلف شمال الأطلسي الناتو قائلاً بالنَّص والحرف: «إذا تركت تركيا مدينه (عين العرب) كوباني السُّوريَّه تسقط في أيدي داعش، فإنَّهُ سيتعيَّن طرح مسأله انتمائها إلىٰ الحلف الأطلسي الناتو». وردًّا علىٰ سؤال لوكالة فرانس برس قال هنري ليفي «إنَّ موقع تركيا في الحلف الأطلسي سيصبح مريباً إذا تركت كوباني تسقط... يجب قول ذٰلكَ في السَّاعات المقبله للسُّلطات التركيَّة».

عجباً، كلُّ العمليات التي قادها الناتو قادتها أمريكا بجنودها لماذا هٰذه العمليَّة تحديداً يجب أن يكون الجيش التركي هو بطلها؟ ألا يوجد في التَّحالف إلا تركيا حَتَّى تحمل عبء هٰذه المعركة؟!

وتابع هنري ليفي قائلاً في المقال «إنَّ قوات الدَّولة الإسْلاميَّة تتقدم بَيْنَ ساعةٍ وأُخرَىٰ، من شارع إلىٰ شارعٍ. والحلُّ الأخير هو إمَّا يتدخَّل الجيش التركي في اطار انتمائه إلىٰ الحلف الاطلسي و/أو أن تترك آلاف المقاتلين الأكراد العالقين علىٰ الحدود والمتطوعين للدِّفاع عن المدينه يمرون».

حماسٌ منقطع النَّظير يربك الكثيرين في حقيقة الأمر. فما عدا التَّحليلات التي أطنبنا فيها نشعر بسبب هٰذه الحماسة منقطعة النَّظير وكأَنَّ الأكراد طائفة يهوديَّة صهيونيَّة لأنَّهُ لا يتم الدِّفاع عن أحد بهٰذه الطَّريقة إلا عن اليهود الصهاينة. والأسئلة التي فرضت ذاتها هنا أمام هٰذه المطالبة: لماذا لم يتم تحرُّك الضَّمير العالميُّ علىٰ مدار السَّنوات الأربع أمام مجازر تفوق ما يحدث بعين العرب مئات المرات في سوريا وحَتَّى في العراق علىٰ يد نظام المالكي... وغيره كثير مما وقفنا عنده سابقاً مقالات أُخْرَىٰ؟

وسؤالٌ مباشر يطرح ذاته هنا أيضاً: لماذا المطالبة والمناشدة بدخول عناصر أجنبيَّة إلىٰ سوريا علىٰ الرَّغْمِ من أن مجلس الأمن قرَّر منذ أسبوع أو أكثر قليلاً عدم السَّماح لأيِّ أجنبي بدخول سوريا؟؟

ما هٰذا التَّناقض الوقح الصفيق؟

لماذا يحق للأكراد الأتراك الدِّفاع عن إخوانهم الأكراد في سوريا ولا يحقُّ للسُّنة الأتراك الدِّفاع عن إخوانهم السُّنَّة السُّوريين؟

ولماذا لا يحقُّ للعرب السُّنة الدفاع عن إخوانهم السُّنَّة السُّوريين؟

تناقضات وقحةٌ صفيقةٌ تقول بوضوح يجب قتل كلِّ من هو مسلم (سنِّي) حصراً.

تابع هنري ليفي استفزازه وتهديده قائلاً: «ولٰكنَّ تركيا لا تتحرك. وتتعلل بمماحكاتٍ قانونيَّة، هي تنتظر سقوط المدينه. وإذا سقطت كوباني، ستكون الحكومه التركيَّه مسؤولة عن ذٰلكَ مباشرة».

لماذا تكون تركيا هي المسؤولة عن سقوط عين العرب؟

لقد مهَّد وزير الدفاع الأمريكي لذٰلك منذ ثلاثة أسابيع تقريباً عندما اتهم تركيا بأنَّهَا هي من يدعم الدَّولة الإسْلاميَّة، وعلىٰ رغم اعتذاره لاحقاً عند الحاجة إلىٰ توسل تركيا القيام بدور في المعركة، إلا أن هٰذا الاتهام بقي ورقة علىٰ الطاولة.

وتابع هنري ليفي في تصوير خطر الدَّولة الإسْلاميَّة: «لا يمكن أن نقول إنَّ داعش تشكِّل تهديداً عالميًّا ونتساهل حيال إضعاف التَّحالف العسكري الذي يشكل أساس الرَّدِّ علىٰ داعش، عند أكثر النِّقاط حرجاً بفعل عدم مسؤوليَّه أردوچان الرئيس التركي»...

وتابع: «أطلب من حلفاء تركيا داخل حلف شمال الأطلسي وضع أردوغان أمام مسؤولياته».

ولماذا تركيا؟

يضيف ليفي: «تركيا هي الركيزه الشَّرقيه للحلف الأطلسي. ونحن ازاء ساعه الحقيقه بالنِّسبه إلىٰ وجودها في الحلف الأطلسي».

كل هٰذه الادعاءات تضع الأطلسي أمام علامات استفهام أثرناها منذ عشرات السنين. ونعيد في هٰذا الإطار، أمريكا والحلف وراءها تصرَّفت سابقاً في

المنطقة الشَّرقية من دون مشاركة تركيا فلماذا تركيا الآن هي الركن الشَّرقي للحلف؟

ما هٰذا الإغراء الساذج؟

في ٦/١٠/٢٠١٤م رئيس الوزراء التركي أحمد داوود أوغلو علق علىٰ هٰذه الحال قبل هٰذا التصاعد قائلاً: «لماذا نحن مطالبون بحماية الأكراد في عين العرب ولم يطلبوا منا حماية العرب!؟».

وفي في ٣/١٠/٢٠١٤ وافق البرلمان التركي علىٰ اشتراك تركيا في التحالف شريطة أن يكون إسقاط النِّظام جزءاً من مهمة التحالف... فهاج العالم وماج علىٰ هٰذا الاشتراط. ومع ذَلكَ أيضاً يظهر السؤال: طالما أنَّ الدَّولة الإسْلاميَّة تهدِّد العالم فلماذا يطلب من تركيا أن تدافع عن العالم وتدفع الثمن فيما يبقى الآخرون محض مراقبين لا يفعلون إلا حصد نتائج التَّضحيات التركيَّة؟

ولم يكتف هنري ليفي بتهديد تركيا بمستقبلها في حلف الأطلسي بل هدَّد وجودها الأوروبي أيضاً، قال: «كوباني تشكل اختباراً لتركيا ولمستقبلها الأوروبي وانتمائها للحلف الأطلسي». بل شدَّد بالتصعيد في ذَلكَ فقال: «لا أتخيَّل أنَّها يمكن أن تبقى داخل الحلف الأطلسي إذا تركت كوباني تسقط».

كوباني جزءٌ من سوريا وليست جزءاً من إسرائيل يا ليفي جدعون فلماذا هٰذا الحرص عليها دون غيرها من مدن سوريا المئات التي تعرضت لما تعرضت وتتعرض له كوباني؟ وإذا تركنا النِّظام جانباً لأسباب تقنيَّة نتساءل لماذا لم يهتزَّ الضَّمير العالمي ذاته هٰذا الاهتزاز الزلزالي الهائج لدى دخول الدَّولة الإسْلاميَّة ذاتها إلىٰ المدن السُّورية الأُخرَىٰ؟

ثَمَّةَ سرٌّ وراء ذَلكَ بالتأكيد. كشفنا جوانب معيَّنة سابقاً ونظنُّ أنَّ ثَمَّةَ غيرها. فتهديد هنري ليفي الأخير ليس وحيداً ولا جديداً كما أبنَّا سابقاً، فهناك سلسلة الجوقة التي تعزف المواويل السياسية والإعلاميَّة الآنفة الذكر في مقالات أُخرَىٰ. فقبل أيَّام عندما وافق البرلمان التركي علىٰ السَّماح بمشاركة الجيش التركي بالاشتراك في التَّحالف الدولي للقضاء على الدَّولة الإسْلاميَّة انهال المديح الأوروبي وارتفع مستوى تقويم الاتحاد الأوروبي للأداء التركي، وبشَّر بإمكانيَّة ضمِّ تركيا إلىٰ الاتحاد الأوروبي...

ولٰكنَّ أردوچان اشترط شروطاً لم تقبلها أمريكا فدخلوا في أخذٍ وردٍّ وترغيبٍ لتركيا من قبل أمريكا والاتحاد الأوروبيِّ حَتَّىٰ وصلت الأمور إلىٰ أفقٍ مسدودٍ كون تركيا حَتَّى الآن لم توافق علىٰ إشراك قواتها العسكريَّة البريَّة في المعركة ويبدو أنَّ الغرب وصل إلىٰ قناعةٍ بأنَّ تركيا لن تشارك من دون الموافقة علىٰ شروطها فخرج علينا هنري ليفي من سردابه وقال ما قال، وبدأت حملة التَّصعيد ضدَّ تركيا، صارت تركيا بلا ديمقراطيَّة، بلا قضاء، تحارب الأقليات... هٰذا تقرير الاتحاد الأوروبي اليوم بعد أسبوع تقريباً من تقرير معاكس أطنب في كيل المدح علىٰ تركيا والسِّياسة التركيَّة.

علىٰ سبيل عدم المزح، الثَّورة السُّورية فَرَضَتْ علىٰ الجميع أن يتعرَّى من كلِّ الأقنعة التي كان يتخفَّى وراءها. ولذَلك أكرِّر هنا ما قلته منذ ثلاث سنوات: «مهما كانت نتائج الثَّورة السُّورية فإنَّهَا يكفيها شرفاً أنَّهَا جعلت الجميع عراةً من الأقنعة».

فهل سيكون لذَلك أثرة في رسم معا لم المستقبل؟؟

كتبت في ٢٠١٣/١٢/٢٥م:

منذ إسقاط حكم الأخوان في مصر تفرَّغ فريقٌ من الجوقة الاختصاصيَّة لإسقاط حكم الحرية والعدالة في تركيا...

بعض السوريين سيربطون ذَلكَ بموقف أردوچان من الثَّورة السُّورية...

بعض المصريين سيربطون ذَلكَ بموقف تركيا من الانقلاب...

والحقيقة ليست هنا ولا هناك.

تركيا كانت سبب إسقاط حكم الأخوان. وسقوط حكم الأخوان سبب للسَّعي لإسقاط حكم أردوچان، والمستشارون والمخططون عرب مسلمون تحديداً. لأنَّهُ وَفْقَهم لا يجوز أن تعمم تجربة نجاح حكم الإسلاميين، لا يجوز أن تكون قدوة، يجب أن يظلَّ الإسلاميون ملاحقين محاربين.

إن اشتعلت تركيا أو لم تشتعل فإنَّ الممارسات الفاعلة وردود الأفعال ستجر المنطقة إلىٰ مزيد من التأزم والاشتعال وزيادة الاصطفافات وتعقيدها. ناهيكم عن بؤر التوتر الكثيرة الأُخْرَىٰ علىٰ صعيد المنطقة والعا لم.

جر تركيا إلىٰ هٰذه المعركة ليست نقص قوة في الحلف الأمريكي، ولا عجزاً أمريكيًّا أو غربيًّا عن تدمير المنطقة... جرُّ تركيا إلىٰ هٰذه المعركة هو توريط تركيا عسكريا في مغامرة تتشعب وتتمدد تمتص نجاحات حزب العدالة والتنمية وتدخله لاحقاً في مواجهات مع الأحزاب الأُخْرَىٰ في تركيا تستغل ضعفه وانهماكه في هٰذه الورطات وتنقلب علىٰ السُّلطة. لن يكون الانقلاب علىٰ السُّلطة صعباً. هكذا يتخيلون.

ولذلك إذا لم ينجح توريط تركيا في ما يسمى معركة كوباني، أو إذا انتهت معركة كوباني ولم تتورط تركيا لن تتوقف المساعي هنا، سيبحثون لها عن مشاريع لتوريطها، وكلما خرجت تركيا من خداع أو إغراء سيبحثون عن طريقة جديدة للإغراء... والتَّوريط.

المنطقة حبلى بتراكمات تاريخية تتفجر الآن. والوضع الدولي والإقليمي يمارس أقصى الاستفزازات على تركيا والجميع للتورط ولمزيد من التورط.



الفصل الحادي عشر
مكملات المشهد

وقفنــا عنــد محطـات بـدا أنَّهـا
كلُّهــا بــل معظمهــا إقليميَّــةٌ تــدور
رحاهــا علــىٰ الأرض العربيَّــة خاصَّــةً،
وخاصَّةً منها المشرق العربي برمته.

هٰذا صحيحٌ صورةٌ ومضموناً، ولٰكنَّ الحقيقة التي يجب أن ندركها جيِّداً هي أنَّ نتائج هٰذا الغليان والانفلات الذي تبدو بوادره ومظاهرة بقوَّةٍ الآن، والقادم أعظم مما هو قائمٌ، سينعكس علىٰ العالم برمته.

إن كانت خرائط المنطقة العربيَّة، المشرق العربي ومحيطه، ستتغيَّر فإنَّ تغيُّرها لن يكون عاديًّا أبداً، وتغيرها لن ينعكس علىٰ هٰذه المنطقة فقط بل سينعكس علىٰ العالم قاطبةً. رياح التَّغير هنا ستؤثر في العالم أجمع.

المشرقيون حقيقةٌ أكثرهم لا يدركون آفاق المخاطر التي ستنعكسُ علىٰ المنطقة والعالم، ولٰكنَّ الغرب وعلىٰ رأسه الولايات المتحدة الأمريكيَّة وحَتَّىٰ إسرائيل يقرأون خريطة المخاطر جيِّداً نوعاً ما، قد لا يدركون حقيقة المخاطر وطبيعتها ومداها ولٰكنَّهُم يدركون أنَّ مخاطر جمَّة قادمة فيما لو انفلت الأمور من عقالها في المنطقة.

استناداً إلىٰ ذٰلكَ قلبت الولايات المتحدة الأمريكيَّة ظهر المجن بعد أشهر قليلةٍ من الثَّورة السُّوريَّة وراحت تدرس الآفاق والأبعاد النَّاجمة عن انتصار الثَّورة السُّوريَّة وما ستؤدِّي إليه وأدركت أنَّ مخاطر غير متوقعة رابضة خلف انتصار الثَّورة السُّوريَّة حَتَّىٰ ولو كان فيما بعد الأسد دولة ديمقراطيَّة علمانيَّة لا دينية كما يتخوفون.

هنا وقعت الولايات المتحدة موقع بالع الموس علىٰ الحدين. لم يعد أمامها من بديل عن دعم الأسد ومحاربة الثَّورة السُّوريَّة، وإن بدا عكس ذٰلكَ في وسائل الإعلام. وهٰذه المناصرة الضمنيَّة السِّريَّة للأسد ومحاصرة الثَّورة السُّوريَّة وتحجيمها ومحاربتها أدَّت وستؤدِّي إلىٰ زيادة تعقيدة الأمور وتوليد طاقات انفجاريَّة كامنة في نفوس أبناء المنطقة، وقد انفجرت في وجه من الوجوه بتنظيم الدولة الإسلاميَّة الذي شغل العالم منذ أشهر قليلة بالسَّيطرة علىٰ الموصل وإعلان دولة الخلافة الإسلاميَّة.

لقد حذَّرت عدداً من السِّياسيين في مراحل مبكرة من أنَّ هٰذا الموقف الأمريكي من الثَّورة السُّوريَّة سيجعلها تندم ندماً شديداً ولا ينفعها النَّدم عندما تجد نفسها في مواجهة جماعات متطرفة، أو هم سيسمونها متطرفة، لا يمكن التَّفاوض معها، وتصعب هزيمتها صعوبة بالغة.

أقول هم سيسمونها متطرفةً لأنَّهُم يسمُّون كلَّ من يعاديهم متطرفاً، ينتهكون الأعراض ويقتلون النَّاس ويدمِّرون البيوت والمدن... ومن يقاوم وحشيتهم يسمَّى متطرفاً. وهٰذا ما لا يريد العرب الاعتراف به، ولا مواجهته، ويسيرون في ركاب الغرب سيراً أعمى. علىٰ العرب والمسلمين أن يقفوا أمام الحق والحقيقة بجرأة ويفهموا هٰذه المعادلة. وما لم يفهم العرب هٰذه المعادلة وينقلبوا عليها فسيكونون الأمَّة الوحيدة في التَّاريخ التي تتآمر علىٰ نفسها بهٰذه الطَّريقة الغبية الفجة المفضوحة.

إنَّ ظهور ما يسمُّونه الجماعات المتطرِّفة لم يكن ليوجد لولا سياستهم العدوانيَّة والازدواجيَّة الفاقعة الفاضحة إلىٰ حدٍّ لا يطاق. حَتَّىٰ ازدواجيتهم، كما أبنَّا سابقاً، صارت تمارس بطريقةٍ فجَّةٍ وقحةٍ مفضوحة إلىٰ حدود لا يمكن أن تطاق أو تقبل أو تحتمل. ومع ذٰلكَ لا يريدون أن تنشأ جماعات متطرفة في

عدائها لأمريكا والأنظمة التي تحميها أمريكا أو تخضع لأمريكا أو رُبَّما تتعامل مع أمريكا!!!

هٰذا الغليان ليس في المشرق العربي وحسب. يبدو أنَّ المشرق العربي تحديداً هو بؤرة الصِّراع والغليان. هٰذا صحيحٌ صورةً ومضموناً. ولٰكنَّ العالم ليس بعيداً لا عن الغيليان العام من جهة، ولا عن بؤرة الغليان في المشرق العربي من جهةٍ ثانيةٍ.

إذا ألقينا نظرةً علىٰ المغرب العربيِّ وجدناه في حالة غليان ما بَيْنَ غليان مضمرٍ وغليانٍ صريحٍ. في الغليان الصَّريح نجد ليبيا التي ما إن دخلت طور الاستقرار والتأسيس حَتَّىٰ أخرجت لها الأنظمة العربيَّة اللواء خليفة حفتر من جراب سليمان وأشعلت فيها الحرب الأهليَّة وفتنة التَّقسيم. بل وصل الأمر إلىٰ التَّدخل العسكري المباشر من بعض الدول العربيَّة علىٰ خط الصراع.

الصِّراع الليبي في صريحه هو صراع بَيْنَ ثورة بالكاد بدأت تعيد بناء الدَّولة وبقايا النِّظام الدَّموي الذي ثار عليه الشَّعب. مهما قيل في خليفة حفتر من تقاعد أو وقوف مع الثَّورة فإن الحقيقة التي تقف وراءه هي أنَّهُ يقاتل برجال القذافي وأموال القذافي ويقف وراءه رموز نظام القذافي، ناهيكم عن دعم أنظمة عربيَّة محددة من الواضح أنَّها تحارب الثَّورات القائمة والمنتصرة. لا تريد أن يقال إن في الدُّول العربيَّة ثورات تنتصر.

هٰذه الأنظمة العربيَّة ذاتها تعمل الآن علىٰ قدم وساق وبوتائر متسارعةٍ وجهودٍ حثيثةٍ كثيفةٍ لإسقاط الثَّورة التُّونسيَّة وإعادة النِّظام السَّابق. لن يعود النِّظام ذاته بالتَّأكيد، ولٰكن يمكن هزيمة الثَّورة وما أدت إليه من نتائج، والانتهاء إلىٰ النَّتيجة المرجوة وهي هزيمة الثَّورة، التَّنكر للثَّورة، ورُبَّما محاربة الثَّورة وإدانتها.

يتوقَّع الكثيرون عدم نجاحهم في ذٰلكَ. يذكرني هٰذا الإنكار الوثوقي بقول يوسف ندا عندما استضافه أحمد منصور للحديث الثَّورة المصرية بعد أشهر قليلة من نجاح محمد مرسي إذا ختم اللقاء بقوله: «لا خوف علىٰ الثَّورة، الثَّورة راكبة ومدلدلة رجليها»، وكانت النِّهاية التي توقعها الكثيرون. هٰذا ما أخشاه علىٰ الثَّورة التَّونسية في حقيقة الأمر.

استمرار الصراع الليبي يعني تفاقهم الأوضاع في ليبيا والمغرب العربي وزيادة تعقيد الأمور علىٰ نحو قد يوصلها إلىٰ البعد عن الضَّبط والتَّحكُّم، ورُبَّما دخول أو خروج قوى جديدة في هٰذه المنطقة تزيد الأمور تعقيداً. هٰذا التَّعقيد قد يأخذ مداه ويتواشج مع تعقيدات المشرق العربي. وإذا ما تَمَّ الانقلاب علىٰ الثَّورة التونسيَّة فرُبَّما يؤدِّي إلىٰ نتائج غير متوقَّعةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ. إن كانت النتائج مباشرةً فلن يكون من الصَّعب فتح الحدود الليبية التونسيَّة وتشكيل قوى مشتركة، وإن لم يكن هناك رد فعل مباشر فأغلب الظن أنَّهُ سيكون الرد كان بعيد المدى أو غير مباشر يسهم في زيادة تعقيد أمور المنطقة المغربية العربيَّة كلها، خاصَّة وأن الجزائر التي يحسب الكثيرون أنَّها ما زالت تنفخ في اللبن بعد سحق ثورتها علىٰ مدار السَّنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين.

علىٰ أيِّ حالٍ، المغرب العربي ما عدا ليبيا، الذي يبدو بارداً أو فاتراً وهادئاً ليس كذٰلكَ تماماً. وفيه أرض خصبة مؤهلة للاشتعال إذا توافرت لها بعض الظروف المناسبة.

اشتعال المشرق العربي وحده دون المغرب العربي كاف وحده لإشعال العالم وقلب الموازين كلها إذا انفجر وقلب موازينه هو فكيف لو اشتعل معه

المغرب العربي؟ هٰذا علىٰ افتراض أنَّ العالم يعيش بدعة وهدوء واستقرار وعدم وجود أي نوع من المشكلات. ولٰكنَّ الأمر ليس كذٰلكَ.

صحيحٌ أنَّ الاستقرار يبدو سمةً للعالم أجمع، ولٰكن حَتَّىٰ هٰذا الظهور للاستقرار ليس مطمئناً، ولا صادقاً، ولا صحيحاً... العالم كلُّه يعوم علىٰ حقول ألغامٍ مختلفة الأشكال والألوان والأحجام.

أعود إلىٰ محاضرة ألقيتها في المركز الثَّقافي في الحفة باللاذقية في ٢٠٠٩/٩/٧م تحت عنوان: الواقع السِّياسي العالمي ومستقبل العرب فيه. عندها رسمت مشهد البركان الذي يجثو عليه العالم. لم يكن الحديث عن بركان صراعاتٍ حينها، كان الحديث عن التَّرهُّل السِّياسي والاقتصادي والسُّكَّاني الذي تمر به الأمم الكبرى وآفاق تأثيرها في هٰذه الأمم وتأثر هٰذه الأمم بها علىٰ صعيد الفعل الحضاري والسِّياسي علىٰ الصَّعيد العالمي.

الوضع السُّكَّاني في الصِّين سينفجر قريباً مهما حاولت الصِّين ترقيع الوضع. القارة الأوروبيَّة تسير في الطريق ذاته ولذٰلك تسعى إلىٰ الترميم من خلال المهاجرين. والولايات المتحدة في انهيار وتشتت اقتصادي وعسكري. وروسيا تحاول أن تستعيد أمجادها الإمبراطوريَّة ولٰكنَّهَا لن تستطيع ذٰلكَ إلا استعراضاً وظاهراً، أما بنيتها فمهترئة ومتهالكها لا يضبطها الآن القبضة الفولاذية التي يحكم بها ڤلاديمير بوتين.

الصُّورة بهٰذا الظَّاهر وهٰذا المضمون وإن بدا غير ذٰلكَ في مواقف أو حالات أو طفرات تغير المسار نوعاً ما. ولٰكنَّ احتمالات الوثب فوق كومة الأزمات وترقيعها صُدِمَ بمصادفةٍ تاريخيَّةٍ هي الرَّبيع العربي بالعام، والثَّورة السُّوريَّة علىٰ نحو الخصوص. الثَّورة السُّوريَّة التي فجرت كل الحدود والأغطية ووضعت

العالم أمام مواجهة كبرى وخطيرة. الثَّورة السُّوريَّة وضعت العالم أمام الامتحان الأكبر والأخطر.

وجد الغرب نفسه فجأة أمام انفجار الشباب العربي من الأوضاع الداخليَّة والخارجيَّة. الداخليَّة المتمثلة بالاستبداد والقهر والفساد وارتهان الأنظمة للخارج. والخارجيَّة المتمثلة بالقهر الغربي للعالم العربي علىٰ مختلف المستويات، والازدواجيَّة الغربيَّة المتراكمة عبر عشرات السنين ضد قضايا ومصالح العالم العربي.

الرَّبيع العربي ليس ثورة أو ثورات علىٰ الأنظمة العربيَّة فقط، إِنَّهُ في الوقت ذاته ثورة علىٰ الغرب. ولذٰلك صعد صعوداً قويًّا وسريعاً التيَّار المناهض للغرب إلىٰ السُّلطة في دول الثَّورات العربيَّة. وهٰذا ذاته ما أثار هلع الأنظمة العربيَّة الموالية للغرب والولايات المتحدة الأمريكية تحديداً، وأثار الساسة الغرب وعلىٰ رأسهم الولايات المتحدة الأمريكيَّة. وبدأ البحث في سبل مواجهة هٰذه الثَّورات التي انتصرت والثَّورة السُّوريَّة التي انكسرت برأسها الانقلابات الغربية والعربيَّة علىٰ الرَّبيع العربي، كون الثَّورات كلها قد انتهت.

هٰذا الانقلاب علىٰ الرَّبيع العربي أراد أن يكحلها فأعماها، أراد أن يرقعها فخرقها، أراد أن يحتويها فانفجرت في وجهه...

من البداهة بمكان أن مواجهة الصَّواب بالغلط لا يؤدي إلا إلىٰ تعقيد الغلط. وهٰذا ما حدث في التَّعامل مع الثَّورة السُّوريَّة ومع دول الرَّبيع العربي التي انتصرت فيها الثَّورات. لم يكتف الغرب والأنظمة العربيَّة العميلة له بمواجهة الثَّورة السُّوريَّة فقط بل أرادوا استعادة النِّظام السَّابق في الدول التي انتصرت فيها الثَّورات. وهم ماضون في ذٰلكَ إلىٰ أبعد الحدود وإلىٰ النهاية. تفجرت بعض الأوضاع نسبيًّا والبقية آتية علىٰ الطريق.

لا يوجد مجتمع دولي في حقيقة الأمر، توجد إمبراطورية اسمها الولايات المتحد الأمريكية تضبط إيقاع العالم في المفاصل الأساسية والحساسة. هي التي تمسك مفاتيح الحراك العالمي في مفاصله الأساسية والحساسة والحاسمة. وكل ما يبدو من مظاهر مختلفة أو مختلفة لا يعدو كونه مظاهر أو صورة خارجية إما أنَّها حقيقية وهي فيما لا يقدم ولا يؤخر، أو أنَّها مظاهر خادعة أو كاذبة مثل التمر الروسي علىٰ الإرادة الأمريكية في الثَّورة السُّورية، الحقيقة التي يدركها المختصون أن كل الاعتراضات الروسية، علىٰ الرَّغْمِ من التوبيخ الأمريكي، في مجلس الأمن الدولي علىٰ إدانة النِّظام السُّوري أو محاصرته أو غير ذَلكَ... كل هٰذه الاعتراضات أو استخدامات حقِّ النَّقد كانت بضوء أخضر أمريكي، وتأييد فعلي، ورُبَّما تنسيق فيما بَيْنَ الكواليس.

الولايات المتحدة تحمل عبئاً كان في الأصل أكبر من قدرتها علىٰ حمله، وقد أشرت إلىٰ ذَلكَ في كتابي كيف ستواجه أمريكا العالم الذي صدر ١٩٩١م، ذكرت أنَّها مقبلة علىٰ حمل عبء أكبر من طاقتها وقدرتها لأنها هي التي تريد أن تحمل كل العبء وحدها، وهٰذا ما سيجر عليها مصاعب وعقبات ترهقها. وهي في هٰذا السِّياق صارت تنحشر وتحشر نفسها في خيارات أيها اختارت جرت علىٰ نفسها مصاعب وتعقيدات جديدة. مثلما هو الأمر في إدارة الأزمة العراقية والثَّورة السُّورية والملف النَّووي الإيراني... سياستها التي لا بديل عنها أمها هي التي تجعلها بَيْنَ خيارين كلاهما محرجٌ ومربكٌ ويضعها أمام معضلات تفوق سابقتها.

من هٰذا الوضع راحت إيران تتمدد وتتمرد، وروسيا التي تلعب تحت الغطاء الأمريكي وجدت نفسها قادرة علىٰ كسر الإرادة الأمريكية، هي لم

تفعلها علىٰ نحو ملفت حَتَّىٰ الآت ولٰكنَّهَا في طريقها إلىٰ ذَلكَ في ظل الانطفاء الأمريكي والعجز عن التدخل في كل مكان في العالم بل حَتَّىٰ في المناطق الحساسة، وصارت روسيا تضع مناطق نفوذ لها لا تسمح لأمريكا بالتحرك فيها. وصارت الأمور تنفلت من العقل الأمريكي في كثر من مناطق العالم وخاصَّة العالم الإسلامي.

العالم كله في حالة يراوح ما بَيْنَ توتر وغليان وتفكك وترهل... الدول والأمم المحورية التي ترواح بَيْنَ هٰذه الحالات. والمؤشرات تقول إنَّ البركان يوشك علىٰ الانفجار.

كثيرون سيسألون: ومن سينتصر؟ وكيف ستسير الأمور؟ وما المشهد القادم؟

هٰذا ما لا يمكن التنبوء به في حقيقة المر. نحن نتحدث عن بركان يحرق الجميع وتنبثق تسويات جديدة، وبنى جديدة، علىٰ أنقاض احتراق الجميع. المسلمون يتخيلون أن الأمور تسير لمصلحتهم، وهٰذا وهم لا أكثر. رُبَّمَا يوجد ما ينبي بذَلكَ، ولٰكنَّ الأمر منوط بالتفكير الصحيح والتخطيط الصحيح والعمل الصَّحيح وليس بالرَّغبات ولا الأماني. وفي حين أنَّ المسلمين يتمنون ما يتمنون فإن الأمريكان يخططون لخلاف ذَلكَ، ومثلهم الأوربيون، ومثلهم الفرس، ومثلهم الروس... من يمسك بخيط اللعبة جيداً هو الذي يصمد أكثر. ومن يقود اللعبة جيداً هو الذي يضحك أخيراً.



صدر للمؤلف

- أعاجيب السياسة الأمريكية؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال و الاستقالة و الترميم . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.

- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة ؛ الحداثة ضرورة تاريخيَّة لا خيار سياسي – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العرب أعداء أنفسهم؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.

- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأًصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.

- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .

- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . دار إنانا . دمشق . طبعة أولى: ٢٠٠٥م. طبعة ثانية ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.



فهرس

- **الإهداء** ٠٠٥
- **مقدمة الكتاب** ٠٠٧
- **الفصل الأول**: في الازدواجية الغربية ٠١٥
- **الفصل الثاني**: المنطقة مشتعلة ولن تنطفئ إلا بالحسم ٠٢٩
- **الفصل الثالث**: من سايكس بيكو إلى كيري لافروف ٠٣٧
- **الفصل الرابع**: أوكرانيا والصراع الروسي الغربي ٠٤٩
- **الفصل الخامس**: تصعيد الصراع الطائفي والديني.................. ٠٦٥
- **الفصل السادس**: النووي الإيراني ومستقبل المنطقة ٠٧٧
- **الفصل السابع**: وفي مصر غليان ٠٩٢
- **الفصل الثامن**: الدولة الإسلامية تقلب الموازين ١٠٩
- **الفصل التاسع**: أسلمة الصراع والتمدد الإيراني ١٢٣
- **الفصل العاشر**: جر تركيا إلى أتون الصراع ١٣٣
- **الفصل الحادي عشر**: مكملات المشهد........................ ١٤٣
- **صدر للمُؤَلف** ١٥٣
- **المحتويات** ١٥٩



الدكتور عزت السيد أحمد

WORLD ON NOZZLE OF VOLCANO

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR

Beirut. 2014

Emil: sameah3@gmail.com



WORLD
ON NOZZLE OF VOLCANO

BY PROF. DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD

2014


الدكتور عزت السيّد أحمد
العالم على فوهة البركان
دار النهار
2014
علينا البدء بتفتيت عقولنا لنتعايش مع القادم
ربما كانت الثورة السورية هي الشرارة التي قدحت نار البركان
ولكن العالم مهيئ ويغلي منذ سنين غير قليلة، وبدلاً من إطفاء
نار البركان راح العالم يصب الزيت على النار.